المسلمون في الصين

د. صبحي جميل
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
جامعة الشارقة

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

قال الأمير شكيب ارسلان رحمه الله قبل أكثر من نصف قرن " مسلمو الصين ليسوا في هذه الدنيا " عندما كتب عنهم وعن أحوالهم للتعريف بهم " لوثروب ستوارد " مؤلف كتاب حاضر العالم الإسلامي[١] .

الكتابة عن الصين وعن مسلمي الصين ليست بالأمر السهل بل من الصعوبة بمكان لأن المصادر قليلة وأبوابها مغلقة أما من يريد أن يطلع على شئ من أحوال المسلمين في مناطق كانت مقفلة حتى ١٩٨٠ وأغلبيتها مسلمون فعليه الاطلاع عليهم في أرض الواقع .

ولمسلمي الصين دور فاعل في الإسهام في الحضارة الإسلامية من خلال نشر المعارف والعلوم الإسلامية وإلى هذه البلاد نسب كثير من الفقهاء والعلماء وجعل الصينيون تركستان إحدى مقاطعات الصين وأطلقوا عليها سينكيانغ (الأرض الجديدة) .

ويقول الفيلسوف الفرنسي الأب دو شاردان : " إذا ما كتبتم عن الصين قبل أن تزوروها فأنتم مضطرون لكسر ريشتكم بعد حين "[٢] .

دخول الإسلام إلى الصين وأسباب انتشاره :

أولاً : عن طريق التجارة تذكر بعض المصادر العربية أن أول من زار الصين تاجر عربي عُماني الأصل هو أبو عبيدة عبد الله القاسم لشراء الأخشاب والمنتجات الصينية الرجل الذي يقول عنه العمانيون إنه أول من أطلق عليه وصف السندباد[٣] .

فدخول الإسلام إلى الصين عن طريق التجارة البحرية جعلهم يتوزعون في المناطق الساحلية ولاسيما في المراكز الكبرى مثل كانتون وشانغهاي ومدن شانتونغ حيث لم يكن التجار المسلمون ليحملوا البضائع فقط ، وإنما كانوا يحملون الدعوة ولم تكن الغاية الأرباح المادية ، وإنما كانت الغاية نشر الإسلام في تلك الأقوام الوثنية عنه والبدائية في عقيدتها[٤] .

ودخول الإسلام إلى المناطق الصينية الوسطى كان عن طريق التجارة الداخلية ويقول توماس أرنولد : ومن المحتمل جداً أن الإسلام دخل الصين أول ما دخل مع التجار الذين يشكلون الطريق البحري القديم ولكن أسبق النصوص التي يمكن أن تتفق تشير

إلى علاقات سياسية تبادلوها برأ عن طريق بلاد الفرس ، وعندما توفي يزدجرد آخر ملوك ساسان في فارس استنجد ابنه فيروز بالصين لتنصره على العرب الغزاة غير أن إمبراطور الصين أجاب بأن بلاد الفرس كانت من بعد الشقة وطول المسافة بحيث لا يستطيع أن يرسل إليه الجيوش المطلوبة .

وقيل أنه بعث إلى البلاط العربي الإسلامي سفيرا يدافع عن قضية الأمير الهارب ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون الإمبراطور قد أوصى سفيره بأن يتبين مدى الاتساع والقوة في الدولة الجديدة ، وقيل أن الخليفة الثالث

عثمان رضي الله عنه ، أرسل أحد القواد العرب ليرافق السفير الصيني في عودته سنة ٦٥١ فكرم الإمبراطور وفادة أول سفير من المسلمين بعث إليه[٥] .

وقد ورد في بعض الكتب التاريخية الصينية أن أول من دعا إلى الإسلام في بلادهم أحد أخوال النبي صلى الله عليه وسلم هو سعد بن أبي وقاص فبنى له الإمبراطور في كانتون مسجداً ليسكن في أروقته وسماه جامع الشوق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو موجود إلى الآن وفيه مسحة من جمال الفن الإسلامي وبعد مدة انصرف ورجع سعد بن أبي وقاص . ويقول مسلمو الصين : أن سعد بن أبي وقاص دفن خارج كانتون وهناك ضريح ينسب إليه ولعل هذا الضريح مقامه إلا أنّ كتب تراجم الصحابة لا تشير إلى ذلك[٦] .

وقد ورد ذكر العرب لأول مرة في التواريخ الصينية في ذلك الوقت الذي ابتدأ فيه حكم دولة تانج (٦١٨ - ٩٠٧) وتشير هذه التواريخ أن نشأة القوة الإسلامية في مدينا كما تتحدث بإيجاز عن التعاليم الدينية للعقيدة الجديدة .

أما تاريخ كوانجتينج (Kwang Tung) فيذكر أن أول من جاء من المسلمين إلى الصين على النحو الآتي :

" في عهد دولة تانج وفد إلى كنتن (Canton) عدد كبير من الغرباء من مملكة أنام (Annam) وكمبوديا ومدينا وبعض بلاد أخرى وكان هؤلاء الغرباء يعبدون الله وليس لهم في معابدهم تمثال ولا صنم ولا صورة وكانت مملكة مدينا قريبة من مملكة الهند وفيها نشأت ديانة هؤلاء الغرباء التي تختلف عن ديانة بوذا وكانوا لا يطعمون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر ويعتبرون الذبائح التي لا يذبحونها بأيديهم طعاماً نجساً ويطلق عليهم الآن

هوي هوي (Hui Hui)، ولما استأذنوا الإمبراطور وحصلوا منه على إذن بالإقامة في كانتون بنوا دوراً جميلة من طراز يختلف عن ذلك الذي كان في بلادنا وكان لهم ثروة عظيمة ودانوا بالطاعة لرئيس انتخبوه "[٧].

وكان التجار المسلمون ينالون ثقة كبيرة من الشعب وتمتعوا بمكانه مرموقة لدى الحكومة الصينية وكانوا يشاركون في الحياة العامة على المستوى الرسمي والأهلي وقد تبرع تاجر مسلم في أسرة سونج بمبلغ كبير للمرافق العامة فأهداه الإمبراطور حصاناً أبيض تقديراً لتبرعه[٨] .

لذلك حسنت حالتهم المادية وكانوا من الأغنياء وعاملوا سكان البلاد الذين أحبوهم ووجدوا فيهم سلوكاً لم يعتادوا معرفة مثله ورأوا منهم تجاراً لم يألفوهم ، فأعتنق بعضهم الإسلام حباً بهؤلاء التجار لما تحلوا من أخلاق حميدة من حسن المعاملة والصدق في التصرف التي هي سمات بارزة يقترن بها المسلم .

ويقول توماس أرنولد : إن المسلمين الصينيين رجال أعمال أذكياء وتجار ناجحون فهم يحتكرون تجارة لحوم البقر ويزاولون تجارات أخرى بنجاح عظيمة وهكذا نجدهم على صلة بكل نواحي الحياة ونجد لديهم كل فرصة للدعاية وكانت مسؤولية نشر الإسلام كانت تقع على كواهل المؤمنين من الأفراد بخلاف المنظمات التبشيرية المسيحية ، كانت لهم هيئات ومكافآت مالية سخية تعطى لها بغية القيام بالتبشير[٩].

وقد أحب ملوك الصين هذه النماذج الجديدة من البشر ورغبوا فيهم وأولوا العناية والرعاية فقد روى أحد الرحالة وهو الشريف حسن بن الجلال السمرقندي من العجائب أن ملك الصين مع كفره كان في رعاياه من المسلمين أمم كثيرة وهم عنده مكرمون ومحترمون ومتى قتل أحد الكفار مسلماً قتل الكافر وأهل بيته ونهبت أمواله ، وإن قتل مسلم كافراً لا يقتل

به وإنما يطلب بديته ودية الكافر حمار لا يطلب بغيره[١٠] .

ثانياً : ومما ينبغي القول أن نشر الإسلام لم يكن من عمل الرجال وحدهم بل لقد قام النساء المسلمات أيضاً بنصيبهن في هذه المهمة الدينية فيرجع الفضل في إسلام كثير من أمراء المغول إلى تأثير زوجة مسلمة ولا يبعد أن يكون مثل هذا التأثير سبباً في إسلام كثير من الأتراك الوثنيين عندما أغاروا على الأقطار الإسلامية .

وفي حكم الإمبراطور كين لنج (Kenlung) وصل مجموعة من الأسرى الذين جئ بهم من كاشغر إلى العاصمة وكان من بين الأسرى فتاة جميلة أصبحت جارية للإمبراطور ونالت حظوة عنده ويقال أنه في سبيل حبها بنى لها مسجداً تجاه قصره كما بنى قبة في فناء قصره فتمكنت الجارية من أن تشاهد منها أبناء وطنها وهم يصلون ، وأن تشاركهم في عبادتهم وقد بني هذا المسجد من سنة ١٧٦٣ إلى سنة ١٧٦٤ م .

ثالثاً : علاقة المسلمين بمواطنيهم الصينيين كانت علاقة قوية وكان المسلم يحرص الزواج بالصينية غير المسلمة لعل الله يشرح صدرها للإسلام ، وكان عدد المسلمين في نمو وازدياد ويعزو " دوهلد " هذه الزيادة إلى ما اعتاده المسلمون من شراء الأطفال أيام المجاعات بفضل مالهم من ثروة فهم يشترون الأطفال الوثنيين حيثما كانوا ولا يجد آباء هؤلاء الأطفال غضاضة في بيعهم لعجزهم عن توفير القوت لهم وفي أثناء المجاعة التي ضربت ولاية تشنج (Chantong) ، اشترى المسلمون ما يربو على عشرة آلاف من هؤلاء الأطفال فكانوا يربونهم على الإسلام ويعدّونهم أبناءهم تقرباً إلى الله رغم أن الرقيق هو الساند في هذا العصر[١١] .

وكانوا يبنون لهم في المدينة أحياء مستقلة بل قرى بأكملها وحصلوا شيئاً فشيئاً على مثل هذا النفوذ في جهات عدة حتى أنهم لم يتيحوا لأي شخص

لا يذهب إلى المسجد أن يعيش بين ظهرانيهم وبمثل هذه الوسائل تضاعف عددهم إلى حد كبير خلال القرن الحاضر ، ورأت بعثة أولون لما مرت من الصين قتل ألوف من المسيحيين في ثورة البوكسر ونهبت أموالهم وبيعت نساؤهم وأولادهم فاشترى مسلم نينغ هيا عدداً منهم وهذا محقق لأن مطران منغوليا كان يسعى في استردادهم مما دفع الكاتب الروسي وهو فاسيليف سنة ١٨٦٧ أن يؤلف كتاباً عن الإسلام في الصين يذكر فيه أن الإسلام مهيأ لأن يصبح الدين القومي للإمبراطورية الصينية وهذا سيقلب تباعاً الأوضاع السياسية في العالم الشرقي رأساً على عقب .

ويعلق توماس أرنولد على هذه النبوءة بقوله إنه قد مرّ نصف قرن عليها ولكن شيئاً لم يحدث لتتحقق هذه النبوءة[١٢] .

رابعاً : عن طريق تولي بعض المسلمين حكم الولايات : زاد نفوذ المسلمين أيام المغول وارتقوا إلى مناصب رؤوساء دواوين في الولايات التابعة للإمبراطورية المغولية الإسلامية والتي تأسست وكان ذلك في عهد قبلاي خان أول إمبراطور للمغول على الصين الذي لقب يوان مي تسو وأشهرهم :

أ . شمس الدين عمر الذي كان في عام ٦٥٧ هـ كضابط في الجيش وكان من أهالي بخاري وعهد إليه قوبلاي خان عدة مناصب إدارية وعسكرية في ولايات عديدة أخرها حاكماً لولاية يونان سنة ٦٧٣هـ، وقد انشأ المدارس والمعاهد في هذه الولاية وكتب المتشرق الفرنسي ويسير فصلاً في كتابة دراسة عن المسلمين في الصين .

وعن إنجازات السيد الأجل وأوضح أنه شيد معبداً لأتباع كونفوشيوس كما كان يشيد المساجد والمعاهد للمسلمين وبقي في حكم الولاية ست سنوات وترك خمسة أبناء تولوا مناصب هامة في الإمبراطورية المغولية في الصين[١٣] .

ويذكر المؤرخ المسلم فضل الله الذي توفي سنة ١٣١٨ ، أن الإمبراطورية المغولية بقيادة قبلاي خان قد انقسمت إلى اثنتي عشرة ولاية وتولى المسلمون حكم ثمانية ولايات منها.

ب. ومن الشخصيات الإسلامية التي تولت مناصب هامة أيضاً حسن يوجينج حيث شغل نائب الوزراء وشاه يوجينج النائب الثاني لرئيس الوزراء ثم بدر الدين يوجينج الذي شغل منصب نائب آخر لرئيس الوزراء .

جـ. وفي عهد منج اكتسب الإسلام اتباعا جدداً بمصاهرة الأسرة الصينية للمسلمين من اصل عربي ومغولي وإيراني وبرزت شخصيات بارزه أخرى مثل القائد (تشانج بو) ثم (الحاج جنهو) الذي يفتخر به تاريخ الصين وقاد عدة رحلات إلى ساحل الجزيرة العربية وبلاد الفرس وشرق أفريقيا .

خامساً: طريق الفتح والجهاد : في عهد الوليد بن عبد الملك ٨٦-٩٦ هـ ، أرسل الحجاج بن يوسف والي العراق آنذاك القائد العربي المشهور قتيبه بن مسلم الباهلي الذي ولاه الخليفة على خراسان يعبر نهر سيحون ويشرع في سلسلة من الحملات الناجحة أخضع فيها على التوالي بخارى وسمرقند ودخل كاشغر سنة ٩٦ التي أصبحت من ديار الإسلام وقد راسل قتيبه في مدينة كاشغر ملك الصين ، وأرسل إليه وفداً جعل عليه هبيره بن الشمرج الكلابي فلما كلمهم ملك الصين قال لهم " قولوا لقتيبه ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه ، قال له هبيره كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وأخرها في منابت الزيتون (بلاد الشام) وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ؟ ، وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرنا فأكرمها القتل فلسنا

نكرهه ولا نخافه، قال: فما الذي يرضى صاحبك؟ قال إنه قد حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوكهم ويعطي الجزية قال : فإنّا نخرجه من يمينه ، نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه ونبعث بعض أبنائنا فيختمهم (يضع طوقاً في أعناقهم دليل الإذلال) ونبعث إليه بجزية يرضى ، فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجاز الوفد فأحسن جوائزهم فساروا فقدموا بما بعث به فقبل قتيبه الجزية وختم الغلمة وردهم ووطئ التراب[١٤].

سادساً: عن طريق الجند المسلمين الذين استقروا في الصين : اكتسبت العلاقات السياسية التي قامت بين الدولتين العربية والصينية في عهد الإمبراطور هزوان تسنج أهمية جديدة في أواخر عهد هذا الإمبراطور حين طرده أحد الغاصبين من عرشه فتنحى عنه لابنه (Sutsung) عام ٧٥٦م ، فطلب هذا الأخير نجدةً من الخليفة العباسي المنصور ، وأجابه إلى هذا الطلب ، بأن أرسل قوة من الجيش نجح بمساعدتهم في استرجاع عاصمته سينغو (Si-nganto) وهو تنغو (Ho-nanfo) من أيدي الثوار ، وفي نهاية الحرب لم ترجع هذه القوات العربية إلى بلادها بل استقرت وكونت أسراً من خلال زواجهم من الصينيات بعد أن حصلوا من الإمبراطور الإذن بالبقاء[١٥].

سابعاً: لقد كان المسلمون يتصرفون ككل الأقليات بوعي وحذر شديد فقد كانوا حريصين على ألا يظهروا بأي مظهر متميز عن الصينين حتى لا يلفتوا الأنظار إليهم ولكي لا يتركوا انطباعا لدى الصينين بأنهم (أجانب) وقد لاحظ هذا السيد فهمي هويدي في أثناء جولته في عدد من المدن والقرى الصينية ويقول : " لاحظت أن بعض المساجد بغير مآذن ووجدت مساجد مصمماً على الطراز الصيني ، بحيث لا يمكن أن يميز الناظر إليها من

الخارج بينها وبين أي معبد أو منشأة عامة في الصين وقيل إن سر عدم بناء مآذن فوق مساجد المسلمين يرجع إلى أنهم لجئوا إلى هذا الأسلوب مراعاة لشعور الصينيين ، وتجنباً لاستفزازهم وهم الكارهون بالطبيعة للأجانب(١٦).

وكذلك كانوا في ثيابهم ومظهرهم لا يتميزون في شئ عن الصينيين فأغطية رؤوسهم وثيابهم الفضفاضة الواسعة وضفائر الشعر هذه كلها كانت جزءاً لا يتجزأ من مظاهر المسلمين، وكان في كل مسجد لوح مكتوب عليه بالصينية عبارة تقول (وانغ جين هوانغ دي وان شوي ووان شوي) ترجمتها عاش الإمبراطور الحالي عشرة آلاف سنة.. وأمام هذه اللوحة يسجدون احتراماً جريا على العادة الصينية المتبعة(١٧).

ويضيف توماس أرنولد أن المسلمين كانوا يصورون ديانتهم لمواطنيهم من الصينيين على أنها متفقة مع تعاليم كونفوشيوس مع فارق واحد هو أنهم يسيرون على وفق تعاليم أجدادهم في الزواج والجنازات وغسل الأيدي قبل وجبات الطعام وتحريم الخنزير والخمر ولعب الميسر.

وكانت مؤلفات المسلمين الصينية تمجد كتب كونغوشيوس وغيرها من الكتب الصينية وتشيد ما استطاعت إلى ما هنالك من الاتساق بين ما في هذه الكتب الصينية وبين تعاليم الإسلام(١٨) .

ثامناً: من أهم الأسباب لإنتشار الإسلام وعوامل نجاحهم يقول توماس أرنولد: في مقدمة هذه الأسباب " بساطة العقيدة الإسلامية لا إله إلا الله محمد رسول الله وكل ما يطلب من الذي يدخل في الإسلام قول هاتين الشهادتين " .

ويقول " أن هذه العقيدة البسيطة لا تتطلب تجربة كبيره للإيمان ولا تثير في العادة مصاعب عقلية خاصة وأنها لتدخل في نطاق أحط دركات الفهم

والفطنة ، ولما كانت خالية المخارج والحيل النظرية اللاهوتية ، كان من الممكنِ أن يشرحها أي فرد حتى أقل الناس خبرة بالعبارات الدينية النظرية وينقل أرنولد عن البروفسور مونيته العبارات الآتية نقتبس بعضاً منها " الإسلام في جوهره ، دين عقلي بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية ، فإن تعريف الأسلوب العقلي بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ينطبق عليها تمام الانطباق ، ويقول أيضاً (كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهي على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام ، ولكن على الرغم من التطور الخصب لكل ما في هذه الكلمة من معنى لتعاليم النبي حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل باعتباره النقطة الأساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة وقد جهد القرآن دائماً بمبدأ الوحدانية في عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحويل ومن العسير أن نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا ، وأن هذا الإخلاص كمبدأ الدين الأساسي والبساطة الجوهرية في الصورة التي يصاغ فيها هذا الدين والدليل الذي كسبه هذا الدين من اقتناع الدعاة الذين يقومون بنشره اقتناعاً يلتهب حماسةً وغيرة أن هذا كله يكون الأسباب الكثيرة التي تفسر لنا نجاح جهود دعاة المسلمين)[١٩] .

وكان من المتوقع لعقيدة محددة كل التحديد ، خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية ، ثم هي تبعاً لذلك في متناول أدراك الشخص العادي أن تمتلك وأنها تمتلك فعلاً قوة عجيبة لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس[٢٠].

ويرى الأسقف لفروي (Lefroy) أن " سر القوة الخارقة للعادة التي أظهرها الإسلام في أزهى عصوره في فتوحاته وتقدمه " كامن في إدراك هذا

الدين وجود الله أكثر منه في وحدانيته قال : " ليس قولنا إن الله واحد بأعظم من قولنا إنه موجود – بمعنى أن وجوده هو حقيقة الكون المطلقة وأن إرادته هي العليا – وأن سيادته مطلقة وأن قوته لا تحد ، وهذا معناه الإيمان بأن هناك إرادة مطلقة عليا لا تقاوم في وسط كل ما يفجر الكون من الاختلال والاضطراب والفساد الذي يحمله في صورة من الظلمة والوحشة تبعث على الفزع والرهبة . كما أن معناه الإيمان بأن الرجل مسير طوع هذه الإرادة يظهرها ويلتزم الطاعة لها – ولو أنه من الضروري أن يأخذ في سبيل إظهار هذه الإرادة بأسباب بسيطة بدائية جداً ، وهذا هو الذي أمدَّ جحافل المسلمين بوسائل الفتح التي لا تقهر تلك التي بعثت فيهم روحاً من الانقياد الحربي والنظام العسكري ، كما بعثت فيهم ازدراء الموت الأمر الذي ربما لم نعرفه قط في أي نظام سابق وهذا هو الذي يعطينا في كلمة ، حسب ما نجده متمثلاً في أية روح صادقة فعالة بين المسلمين ذلك العمود الفقري لأخلاقهم أعنى ذلك الثبات في العزيمة والقوة في الإرادة ، وذلك الصبر الذي لا يعرف سبيلاً إلى الشكوى ، والاستسلام لأشد المصائب وأصعبها ، كل ذلك قد ميّز خير أنصار العقيدة وجمّلهم[٢١].

وإذا قبل الذي يدخل في الإسلام هذه العقيدة البسيطة وتعلمها لم يكن به عندئذ من أن يتعلم فرائض الدين الخمس :

١. النطق بالشهادتين .
٢. إقامة الصلوات في أوقاتها .
٣. وإيتاء الزكاة .
٤. وصوم رمضان .
٥. والحج إلى مكة[٢٢].

ولكن لا يعزب عن الأذهان أن الحج قد اقترن بإبراهيم في نظر النبي هي

إعادة دين إبراهيم، ولكن فوق ذلك كله ،وهنا تكون أهميته العليا في تاريخ نشر الدعوة في الإسلام – ينظم الحج اجتماع المؤمنين في كل سنة على اختلاف شعوبهم ولغاتهم من كافة أنحاء العالم للصلاة في ذلك المكان المقدس، الذين يولون وجوههم شطره في كل ساعة من ساعات عبادتهم الخاصة في أوطانهم النائية ولم تستطع أية محاولة يقوم بها عباقرة أي دين أن تتصور وسيلة أحسن من هذه الوسيلة تطبع في عقول المخلصين معنى حياتهم المشتركة وأخوتهم التي ارتبطت بروابط الدين ، وفي ذلك المكان حيث نجد عملاً سامياً في أعمال العبادة المشتركة نرى زنجي ساحل أفريقية الغربية يلتقي بالصيني من أقصى الشرق ويتعرف التركي على أخيه المسلم من أهل الجزائر الذين يسكنون أبعد أطراف بحر الملايو ، وفي هذا الوقت نفسه تتطلع قلوب المؤمنين في كافة أنحاء العالم في عطف وحنين إلى إخوانهم الأسعد حظاً منهم الذين تجمعوا في المدينة المقدسة فيحتفلون في أوطانهم بعيد الأضحى، وأن زيارتهم المدينة المقدسة قد أصبحت في نظر كثير من المسلمين ، التجربة التي حثتهم على الجهاد في سبيل الله[٢٣] .

وإلى جانب نظام الحج ، نجد إيتاء الزكاة فرضاً آخر يذكر المسلم دائماً بقوله تعالى : " إنما المؤمنون أخوة "[٢٤] وهي نظرية دينية تتحقق على صورة رائعة تبعث على الدهش في المجتمع الإسلامي وقلما تعجز عن أن تتجلى في أعمال الشفقة إزاء المسلم الجديد ، ومهما يكن جنسه ولونه وأسلافه فإنه يقبل في زمرة المؤمنين ويتبوأ مكانه على قدم المساواة مع أقرانه المسلمين .

كذلك نجد أداء الصلوات الخمس كل يوم على جانب عظيم من التأثير سواء في جذب الناس أو للاحتفاظ بالمسلمين منهم ويقول أرنولد : وقد أحسن مونتسكيو في قوله " أن المرء لأشد ارتباطاً بالدين الحافل بكثير من الشعائر منه أي دين أخر أقل منه احتفالاً بالشعائر ، وذلك لأن المرء شديد التعلق بالأمور التي

تسيطر دائماً على تفكيره[٢٥].

وينقل أرنولد عن المستشرق المجرى جولدزيهير وهو يقول : يتحدث سعيد بن الحسن أحد يهود الإسكندرية الذي اعتنق الإسلام في سنة ١٢٣٨م " إذا كان الله قد تحدث مرتين إلى بنى إسرائيل في كل العصور ، فإنه يتحدث إلى هذه الجماعة في كل وقت من أوقات الصلاة، وأيقنت في نفسي أني خلقت لأكون مسلماً[٢٦].

ويقول المستشرق الفرنسي رينان: " ما دخلت مسجداً قط دون أن تهزني عاطفة حادة ، أو بعبارة أخرى ، دون أن يصيبني أسف محقق على أنني لم أكن مسلماً[٢٧] .

الأديان في الصين :

الأديان السائدة في الصين هي ثلاثة: " الكونفوشيه ، والطاوية ، والبوذية ":

الكونفوشيه : هي منسوبة إلى الفيلسوف الصيني كونفوشيوس وهي تقاليد وطقوس قوميه موروثه من الآباء والأجداد مكتوبة في أسفارهم الأدبية والتاريخية ومعبودات هذا الدين ثلاثة : وهي السماء، والملائكة وأرواح الآباء .

فالصينيون يؤمنون بعبادة السماء والسماء اسم مشترك بين القبة الزرقاء المحيط بالأرض وبين الإله ولذلك أسموها الملك العلي واعتقدوا أن الملك العلي حي عليم قدير يعرف السماوات والأرض وما بينهما وتنفذ مشيئته في النفوس كما تنفذ في الكائنات وأن العاصفة والوابل والطوفان والزلازل والقحط والكسوف والمجاعة كلها آيات الملك العلي ينذر بها الملوك إذا جاروا على رعيتهم وقصروا في حقوقهم .

أما عبادة الملائكة فهي من أصول الأديان القديمة – وهم عند الصينيين كثيرون جداً فالشمس والقمر والكواكب والسحاب والمطر والجبال والأنهار وما شاركها من الكائنات يكون لكل واحد ملك يعبده الناس ويستعينونه، وعبادة ملائكة الأرض مخصوصة بالأمراء وحدهم كما أن عبادة السماء مخصوصة بالملك وحده.

وأما عبادة أرواح الآباء فانهم يعتقدون بقاء أرواح الآباء بعد الموت ويشتاقون كل الاشتياق إلى عودتها إلى أسرتها ولكن يعتقدون الجنة والنار وإنما يعتقدون الجزاء في الدنيا إن خيراً فخير وإن شراً فشر هذه خلاصه عبادة الكونفوشيوسية .

وأما الفيلسوف كونفوشيوس فولد سنة ٥٥١ قبل الميلاد ، وكان تلاميذه ثلاثة آلاف والنوابغ منهم اثنان وسبعون وجمعوا بعد وفاته سنة ٤٧٩ قبل الميلاد أحاديثه في كتاب يسمى كتاب الحوار[٢٨].

وأما الديانة الثانية فهي الطاوية نسب هذا الدين إلى الفيلسوف الصيني (لوتس) الذي ولد قبل كونفوشيوس بخمسين عاماً وقد تقابلا واحترمه غاية الاحترام واعجب بحكمته وأحاديثه مازالت محفوظة في كتابه المشهور بالأخلاق الذي يتكون من خمسة آلاف كلمه ومبادؤه فلسفه محضة لا تشم منها رائحة الدين ، ومبادئ لوتس أقرب إلى الحكمة منها إلى الدين وليست الطاوية مبنية على أصول لوتس بل هي ناشئة عن فروعه مشوبة بالخرافات القومية ظهرت بعد وفاة لوتس بخمسمائة سنة وأساس الطاوية السحر والرقية وأمنيتها طرد الشياطين[٢٩] .

أما الديانة الثالثة البوذية : منشئها جوتما ولد سنة ٥٦٠ قبل الميلاد في بلدة قريبه من مدينة (أوده) في الهند وكان والده ملكاً من ملوك الهند وهو ولي عهده فتمتع في قصر والده بعيش رغد وقد تزوج وهو ابن ستة عشر ورزق

له ولد وهو ابن تسعة عشر ثم زهد في هذه الدنيا فهجر أهل ولايته ودخل الثلج يتقشف ويتفكر واستمر على هذه الحالة ست سنوات فاكتشف المفر من شقاوة الحياة الدنيا فأخذ يعظ الناس وتوفي سنة ٤٨٠ قبل الميلاد فلقبه اتباعه بلقب سيكياموني أي الكريم الهادي واعتقدوا أن البودا الأخير من البودوات الخمسة والعشرين الذين وصلوا إلى مرتبة المكاشفة فالبوذية منسوبة إلى البودا وكان جوتما من الدهريين الذين لا يؤمن بالله وبالآخرة وانقسم أشياعه بعد وفاته إلى فرقتين : فرقه كبرى وفرقه صغرى .

الفرقة الصغرى يعتقدون ببشرية جوتما وإن تعاليمه خلقيه وينكرون عبادة الأصنام .

وأما الفرقه الكبرى فيعتقدون بألوهية جوتما ويعبدون الأصنام ووصلت الفرقه الكبرى إلى الصين عن طريق تركستان الصينية سنة ٦٨ م وترجمت الكتب البوذية إلى الصينية(٣٠).

المسلمون في الصين تحت حكم الأسر المتعاقبة :

عهد تانغ :	٢٩٥ هـ	٩٠٧ م .
عهد سونغ :	٣٠٨ هـ ٩٢٠ هـ	٦٧٥ هـ . ١٢٧٦ م .
عهد يوان المغولي :	٦٧٥ هـ ١٢٧٦ م	٧٦٩ هـ . ١٣٦٧ م .
عهد منغ :	٧٧٠ هـ ١٣٦٨ م	١٠٥٢ هـ . ١٦٤٢ م .
عهد تسونغ العهد المنشوري :	١٠٥٤ هـ ١٦٤٤ م	١٣٢٩ هـ . ١٩١١ م .
العهد الجمهوري :	١٣٢٩هـ ١٩١١ م	١٣٦٩ هـ . ١٩٤٩ م .
الحكم الشيوعي :	١٣٦٩ هـ ١٩٤٩ م	إلى الآن . إلى الآن .

احتل المسلمون مكانه مرموقة عند ملوك الصين والشعب الصيني لما كانوا يتحلون من صفات حميدة كالصدق وحسن المعاملة وكرم الأخلاق فنالوا إعجاب الملوك والشعب الصيني ورغبوا فيهم وأولوا العناية والرعاية بهم .

وكان انتشار الإسلام في بلاد الصين يرتبط بمدى استجابة الأسر الحاكمة من حيث أسلوب تعاملها مع المسلمين وكانوا يتفاوتون في مدى الاهتمام بهم وهذه رحلة موجزة تبين أوضاعهم :

- المرحلة الأولى : عهد أسرة تانج ، عاصرت أسرة تانج بداية الدعوة الإسلامية والعهد الأموي والعباسي التي انتهت حكمها ٢٩٠ هـ وتبادلت البعثات مع المسلمين فوصلت بين ٣١ هـ - ١٨٤هـ / ٢٨ بعثة منها ١٦ بعثة أطلق عليها الصينيون (التاشي) أو (شي تاشي) ، وأضيفت إليها أصحاب الملابس البيضاء وهي إشارة البعثات في عهد الأسرة الأموية وتذكر التواريخ الصينية سفيراً يدعى سليمان أو فده الخليفة هشام سنة ٧٢٦ إلى الإمبراطور هزوان تسنج (Hswntsung) . و١٢ بعثه أطلقوا عليها أصحاب اسم (التاشي) أو (تشي تاشي) أي أصحاب الملابس السوداء وهذا يعني أنها كانت في العصر العباسي[٣١].

وفي هذه الحقبة استقرت بعض الجماعات المسلمة من العلماء والتجار والدعاة على ساحل الصين الجنوبي في منطقة خانفوا كما سماها العرب(كانتون)، وكان المسلمون يعيشون حياة منظمة دينية واجتماعية وكانوا يؤدون الشعائر الإسلامية والقيام بالدعوة الإسلامية، وكان يتولى أمرهم أحد القضاة من المسلمين وكان لهم سوقاً في غرب مدينة خانفوا كما كان لهم مسجد قديم ولايزال باقياً في مدينة كانتون من القرن الثاني الهجري وسمى باسم مسجد الذكرى للنبي صلى الله عليه وسلم وأعيد بناؤه سنة ١٦٤٢م .

ووصل المسلمون إلى عاصمة الصين تشانع آن وأخذوا ينتشرون في

مناطق متعددة وقد زار ابن وهب الصين سنة ٢٥٩م ، وكتب عن أحوال المسلمين بها[٣٢] ، كما نقل القلقشندي عن الشريف بن الجلال السمرقندي الذي دخل الصين وتجول في آفاقه وروي عنه مدى اهتمام (الخان) مع كفره برعاياه من المسلمين[٣٣] .

- المرحلة الثانية : أسرة سونج ٢٩٥ هـ-٦٧٨هـ /١٢٧٩ م ، في عهد هذه الأسرة أصبحت للمسلمين مكانه لدى حكام هذه الأسرة ، وأصبحت لهم الحقوق والامتيازات وشيدوا لهم أحياء خاصة ومساجد ومدارس خاصة وأدى نشاط المسلمين التجاري إلى إنعاش الاقتصاد والصيني وازدهرت كانتون وتشوان كمنطقتين إسلاميتين ومن أشهر الآثار الإسلامية فيهما إضافة إلى مسجد ذكرى النبي صلى الله عليه وسلم مسجد الطاهر في تشوان شو وفي هذا المسجد حجر مكتوب فيه باسم مؤسسه وهو تاجر عربي يدعي عجيب مظهر الدين قدم إلى هذه المدينة سنة ٥١٥[٣٤] .

كما زار الرحالة ابن بطوطة[٣٥] المدن هانغ شو وتشانغ أن وأطلع على أحوال المسلمين ووصفها وأطلع على مساجدهم ومدارسهم وانشطهتم في حقبة هذه الأسرة الحاكمه .

وكذلك في هذه الحقبة وفي سنة ٧٤٢ نصب في الجامع الأعظم الذي بنى بأمر الملك في سيغانفو (Sinfu) عاصمة الصين القديمة نصب تذكاري حجري حفر عليه مذكرة لمراقب البلاط الملكي وانغ هونغ (Wang Hung) جاء فيها " إن حكيم العرب محمد صلى الله عليه وسلم ولد بعد حكيم الصين كونفوشيوس ونشأ في جزيرة العرب فكانت الفترة بينهما طويلة والمسافة بين القطرين بعيدة فما اتفقت سنتاهما مع اختلاف لغتيهما إلا لأن قلبيهما متحد فاتحدت سنتاهما وقد مضى الحكم ولكن أثاره مازالت باقية علمنا منها أنه ولد عبقرياً يعلم أسرار السماوات والأرض وأخبار الدنيا والآخرة علّم اتباعه أن يطهروا أبدانهم

بالوضوء والغسل ويربوا أرواحهم بكسر الشهوات ويروضوا نفوسهم بالهيام ويجتهدوا في الخير ويبتعدوا عن المنكر ويعاملوا الناس بصدق النية والوفاء ويتعاونوا على عقد الزواج وتشييع الجنازة وبالجملة ما من أصل من أصول المجتمع الإنساني وما من قاعدة من قواعد الصحة والأخلاق إلا وقد شيدها[٣٦] .

- المرحلة الثالثة : عهد أسرة يوان المغولي من ٦٧٩-٧٧٠ هـ/١٢٧٦-١٣٦٧م .

وهي الأسرة التي أسسها جنكيز خان الذي احتلت جيوشه الصين ومعظم بلدان الإسلام وبعد وفاته كانت الصين من نصيب (قبلاي خان) الذي لقب (يوان سي تسو) ففي هذه المرحلة زاد نفوذ المسلمين حيث شاهدت الإمبراطورية الصينية هجرة واسعة النطاق هاجر فيها المسلمون على اختلاف قومياتهم من عرب وفرس وأتراك وغيرهم، فجاء بعضهم تجاراً أو صناعاً أوجنوداً واستقر عدد كبير منهم في هذه البلاد وتطوروا إلى طائفة كبيرة مزدهرة وقد انتشر الإسلام بين المغول فأسلم (الاويغور) وكان ملوك هذه الأسرة لا يثقون إلا بالمسلمين في حكمهم ضمن اعتبارين :

الأول: كفاءاتهم في مناحي الحياة المختلفة بوصفهم الأرقى تمدناً في ذلك الوقت .

الثاني : مأخوذ من منطق الاحتلال الذي يعتمد على الأجانب لحكم البلد المحتل لعدم ثقته بأبناء البلد .

وفي هذين الاعتبارين لعب المسلمون دور العناصر الكفوءة في إدارة بلد متحضر[٣٧].

فظهر منهم السيد الأجل السالف الذكر وأبناؤه وأحفاده الذين تولوا مناصب مهمة في الدولة وبرز حسن يوجنج نائب رئيس الوزراء وبدر الدين

يوجينج نائب ثان وظهير الدين والعديد من المسلمين حتى وصل عددهم إلى ثلاثين شخصاً كانوا يحتلون مراكز القادة والوزراء في البلاط المكي[٣٨] .

فيذكر المؤرخ الفارسي رشيد الدين في كتابه جامع التواريخ : " إن في عهد دولة قبلاي خان المغولية كانت الصين مقسمة إلى اثنتي عشر مقاطعة على راس كل مقاطعة وال ونائب له فكان ثمانية من هؤلاء الولاة مسلمون و كذلك كان نواب المقاطعات الأربع مسلمين[٣٩].

وفي هذه الحقبة زار الرحالة ابن بطوطة الصين وكتب عن مدنها وأحوال المسلمين فيها فيقول في الجزء الثاني من رحلته :

" في كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بها بسكناهم ولهم فيها المساجد لإقامة الجمعيات وسواها وهم معظمون محترمون وإذا قدم عليهم أحد فرحوا به أشد الفرح وقالوا : جاء من أرض الإسلام وله يعطون زكوات اموالهم فيعود غنياً كواحد منهم[٤٠].

- المرحلة الرابعة: عهد أسرة منغ ٧٧٠-١٠٥٨ هـ/١٣٦٨-١٦٤٢م تمكن المسلمون في المراحل السابقة من الاندماج في المجتمع الصيني وقد تأثروا بالحياة الصينية وكان لهم دور متميز في الدولة حيث كانت علاقاتهم بالفئات الأخرى الصينية تتسم بالتودد والصداقة والتفاهم .

وفي عهد مينغ : اكتسب الإسلام اتباعاً جدداً بمصاهرة الأسرة الصينية للمسلمين من أصل عربي ومغولي وإيراني وبرزت منهم شخصيات مهمة أخرى مثل القائد (تشانج يو) ثم (الحاج جنهو) الذي يفتخر به تاريخ الصين كرحاله إلى بلاد العرب .

وأمر ملك من ملوك أسرة مينغ الملقب (تايتسو) (TaiTsu) سنة ١٣٢٨ ، بناء جامع في (نانكينغ) (Nanking) ونظم هو قصيدة مكونة من مائة

كلمة في مدح محمد صلى الله عليه وسلم معناها الحرفي الآتي : (ولد في جزيرة العرب النبي الأعظم الذي كتب اسمه في اللوح المحفوظ وتلقى من الملك العلي كتاباً منقسماً إلى ثلاثين جزءاً وبعث رحمة للعالمين فكان ملكاً مربياً للخلق كافة وسيداً كريماً للرسل والأنبياء أجمعين وكاشفاً للفيض الأقدس حامياً للرعية يصلي كل يوم خمس مرات داعياً للعالم بالأمن والسلام ويخاف من الملك الحق ويشفق على الفقراء والمساكين ويعين على الشدائد ويعلم أسرار الدنيا والآخرة ويشفع للأرواح وينقذها من النار ، فقد غمر العالمين بفضله وبهر المتقدمين والمتأخرين بسنته وجمع الأديان فهذبها حتى صار ديناً ظاهراً حقا وأن محمداً لأفضل الأنبياء هذا مصداق قوله تعالى: " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا[٤١] .

وانتقد ذات يوم الملك (اوتسونغ) (Wutsung) الملك العاشر من ملوك أسرة " مينغ " أديان الصين قائلاً لخدمه وحشمه : أن الكونفوشيسيه تكفي معالجة المصالح في عالم الشهادة وتقصر عن كشف الأسرار في عالم الغيب وأما البوذية والطاوية فكأنهما تكشفان حجب الغيب ولكن لا تفيدان الرجوع إلى الفطرة بخلاف الإسلام فأنه دين يعرف به الخالق ويبنى على القواعد المعقولة فلا جرم أن يبقى ما دامت السماوات والأرض[٤٢] .

وقد طمع المسلمون في إسلام الإمبراطور (هونج وو) الذي منح المسلمين امتيازات كثيرة وشجعهم على إنشاء المساجد ، كما أكثروا من تبادل السفراء مع الأمراء التيموريين ، ويعَد أحد هؤلاء ذا أهمية في تاريخ نشر الدعوة الإسلامية وهذا هو الشاه (رخ بهادر) الذي انتهز سنة ١٤١٢ فرصة قدوم سفير صيني إلى قصره في سمرقند وضمن رده على الإمبراطور الصيني دعوة إلى الإسلام وذلك بأن أرسل مع رسوله الذي صحب السفراء الصينين في عودتهم رسالتين[٤٣]، كانت أولاهما باللغة العربية وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، قال رسول الله عليه السلام :

لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا ينصر من خذلهم ولا يطاع من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم وذريته قال : كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق لأعرف فعلم إن حكمته جلت قدرته ، وعلت كلمته من خلق نوع الإنسان أيثار العرفان ، وإعلاء أعلام الهدى والإيمان وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ليعلم الشرائع والأحكام ، وسنن الحلال والحرام ، وأعطاه القرآن المجيد معجزه،ليفحم به المنكرين، ويقطع لسانهم عند المنازعة،والخصام، وأبقى بعنايته الكاملة، وهدايته الشاملة آثاره إلى يوم القيامة ، ونصب بقدرته في كل حين وزمان، وفرصة وآوان في أقطار العالمين من الشرق والغرب والصين ، ذا قدرة وامكان ، وصاحب جنود مجنده وسلطان ليروج أسواق العدل والإحسان ويبسط على رؤوس الخلائق أجنحة الأمن والأمان، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر والطغيان، ويرفع بينهم أعلام الشريعة الغراء، وأزاح من بينهم الشرك والكفر بالتوحيد في الملة الزهراء، فوفقنا الله تعالى بسوابق لطفه ولواحق فضله، أن نسعى في إقامة قوانين الشريعة القاهرة، وإدامة قواعد الطريقة الزاهرة وأمرنا بحمد الله أن نفصل بين الخلائق والرعايا ، في الوقائع والقضايا بالشريعة النبوية والأحكام المصطفوية، ونبني في كل ناحية المساجد والمدارس ، ونعمر الخوانق والصوامع والمعابد ، كي لا يندرس أعلام العلوم ومعالمها ، وينطمس آثار الشريعة ومراسمها، ولأن بقاء الدنيا الدنيه وسلطنتها واستدامة آثار الحكومة وإيالتها باعانه الحق والصواب،وإماطة أذى الشرك والكفر عن وجه الأرض ، لتوقع الخير والثواب ، فالمرجو والمأمول من ذلك الجانب وأركان دولته أن يوافقونا في الأمور المذكورة ويشاركونا في تشيد قواعد الشريعة المعمورة .

أما الرسالة الأخرى التي كتبت بالفارسية فالدعوة فيها إلى اعتقاد الإسلام أكثر صراحة وليس فيها التنميق البلاغي الذي رأيناه في الرسالة العربية : " لما خلق الله الأعظم بحكمته البالغة وقدرته الكاملة ، آدم عليه السلام جعل بعض أبنائه أنبياءً ورسلاً ، وأرسلهم إلى الخلق يدعونهم إلى الحق وأنزل على بعض هؤلاء الأنبياء كإبراهيم وموسى وداود ومحمد عليهم السلام " كتاباً وعلمهم شريعة ، وأمر أهل زمانهم أن يتبعوا شريعة كل منهم ودينه ، ودعا هؤلاء الرسل جميعاً الناس إلى دين التوحيد وعبادة الله ونهوا عن عبادة الشمس والقمر والنجوم ، والملوك والأصنام ؛ ومع أن كلاً من هؤلاء الرسل كانت له شريعة خاصة ، فأنهم كانوا جميعاً متفقين على توحيد الله الأعظم ، لما صار أمر الرسالة والنبوة إلى محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم نسخت كل الشرائع الأخرى ، وهو نبي آخر الزمان ورسوله وواجب على العالم بأسره ، أمراء وسلاطين ووزراء وأغنياء وفقراء وصغاراً وكباراً – أن يعملوا بشريعته ، وأن يتركوا كل الملل والشرائع السابقة ، هذه العقيدة الصادقة الصحيحة تسمى الإسلام . ومنذ سنوات خلت ، تهيأ جنكيز خان للقتال ، وأرسل أبناءه إلى بلاد وممالك مختلفة – فأرسل جوجى خان إلى حدود سراي وقرم ودشت قفجاق ، حيث اسلم بعض الشاهات من أمثال أوزبك وجاني خان وأرس خان ، وعملوا بشريعة محمد عليه السلام واصبحوا بذلك مسلمين ، وانتقلوا إلى الدار الآخرة سعداء بشرف الإسلام ومن هؤلاء الملك الصادق غازان والجايتوا سلطان والشاه سعيد الحظ أبو سعيد بهادر – وغيرهم بعدهم ، وحتى ولي العرش والدي المكرم أمير تيمور كوركان ، وقد عمل والدي كذلك بشريعة محمد (عليه السلام) في كل البلاد التي حكمها ، ونعم المسلمون ، طوال عهده ، برخاء شامل .

والآن وقد انتقلت إلى يدي، بلطف الله وفضله، ممالك خراسان وما وراء النهر والعراق وغيرها. فإن حكم البلاد في أرجاء المملكة كافة بموجب الشريعة

المطهرة النبوية ، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأبطل يرغو وزالت قواعد جنكيز خان ومنذ ذلك الحين صار يقيناً محققاً أن الخلاص والنجاة في يوم القيامة، والسلطان والدولة في الدنيا سببها إيمان الفرد واسلامه وعناية الله تعالى ، ومن الواجب علينا أن نعامل رعيتنا بعدل وأنصاف ، وإني لأرجو بفضل الله تعالى وكرمه أن تعملوا أنتم أيضاً بشريعة محمد رسول الله (عليه السلام) وأن تقووا الإسلام فتناولوا بدلاً من سلطان الدنيا سلطان الآخرة[٤٤] .

ويشكك توماس أرنولد بصحة الرسالتين ويقول : " وليس ببعيد أن تكون هاتان الرسالتان قد خلقتا القصة ، التي نشأت في عصر متأخر ، والتي روت أن أحد أباطرة الصين قد تحول إلى الإسلام وقد روى هذه مع غيرها من القصص تاجر مسلم يدعى سيد علي قضى سنوات قليلة في بكين ، في القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ويتحدث عن عدد كبير من المسلمين الذين كانوا قد استقروا في الصين وقد بنى هذا الإمبراطور كثيراً من المساجد ما يقرب على تسعين مسجداً في ولايات الإمبراطورية وكلها على نفقته. وكان في المساجد أروقة للإدارة والتدريس وسكن للطلبة والمسافرين وفي عهد هذه الأسرة وصل البرتغاليون إلى الصين سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ، وبانتهاء هذه الأسرة انتهى العصر الذهبي للمسلمين في الصين وأخذ دورهم في الاضمحلال[٤٥].

وكانت الأوضاع المستقرة للمسلمين قد أفرزت قيادات فكرية رفيعة المستوى وذلك عندما انتهى أسرة مينغ فظهر علماء في علوم القرآن والحديث والفقه والتوحيد وفي مقدمة هؤلاء أربعة كبار عرفوا بالتقوى وكثرة التأليف هم :

١. الشيخ دانغ داي يو (نحو ١٥٦٠–١٦٦٠) : أول من كتب عن الدين باللغة الصينية ومن مؤلفاته " الأجوبة الصحيحة عن الدين الحق وحقيقة الإسلام" وكتب أخرى في التوحيد والفقه وأحكام الدين .

٢. الشيخ ماتشو (١٦٤٠-١٧١١) مؤلف كتاب إرشاد الإسلام في عشرة أجزاء طبع مرات عديدة .

٣. الشيخ لوتشه (١٦٥٥-١٧٤٥) : عالم معروف بكثرة مؤلفاته ومنها : " حقائق الإسلام " في ستة أجزاء وسيرة خاتم الأنبياء في ٢٠ جزءا و" أحكام الإسلام " في عشرين جزءا.

٤. الشيخ مافو تشو (١٧٩٤-١٨٧٣) : مؤلف مرموق وفقيه متعمق في علوم الدين كان يقوم بالتدريس ويمارس التأليف معاً من مؤلفاته : " خلاصة أصول الدين الأربعة " و" مقصد الحياة " و" تعريف روح الإسلام " و" أحكام الدين " ... الخ[٤٦].

- المرحلة الخامسة أسرة تسينغ: الأسرة المنشورية (١٠٥٤-١٣٢٩هـ / ١٦٤٤-١٩١١م)

وجاءت الأسرة المانشورية إلى الحكم (تسونغ سنة ١٦٤٤) فتغير وضع المسلمين بعد أن كانوا راضين كل الرضا بما كانوا يتمتعون به من حرية دينية بعد أن اندمجوا مع الصينين في حياتهم الإجتماعية مع احتفاظهم بالعقيدة الإسلامية وابقاء بعض الميزات في حياتهم الإجتماعية والمعيشية والدينية مثل اجتناب لحم الخنزير وشرب المسكرات والامتناع عن الأطعمة التي أعدت بوسائل غير إسلامية مع إجراء عقود الزواج وتشييع الجنازة على وفق أحكام الشريعة الإسلامية كالصلاة والصوم وقراءة القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية والعلوم الشرعية .

أثارت هذه العادات والتقاليد الدينية نفوس موظفي الحكومة المنشورية وهناك عوامل سياسية ونفسية فضلا عن العوامل الدينية ساعدت على نشوب احتكاكات مسلحة عنيفة بين موظفي الحكومة والمسلمين لأن الموظفين

المانشورين قد ورثوا عن أسلافهم عدم الإيمان بأي دين ما عدا العقيدة المتمثلة في احترام أرواح الأسلاف، وبالتالي وقفوا موقفاً معادياً عن الإسلام والمسلمين .

وهناك عامل مهم آخر الذي حدث في عهد هذه الأسرة وهو اشتداد الهجمة الصليبية إلى عالم الإسلام فوجدوا الإسلام يتغلغل في البلاد فخافوا أن تتحول إلى دار الإسلام ولا يتمكنون من بسط سلطانهم على هذه البلاد الواسعة العظيمة فلجؤا إلى أسلوبين من الدس والوقيعة بين المسلمين داخل هذه البلاد من خلال إثارة المسلمين إلى روح التمرد والثورة فأمدوهم بالأسلحة ومن جهة أخرى أوهموا الإمبراطور وأهل الصين بخطر المسلمين وأنهم يتحينون الفرص للانقضاض على الدولة وحكمها في حين تمتع المبشرون (المتنصرون) بالحرية في ظل الموظفين المنشورين[٤٧] فتدخلوا في شؤون الصين الداخلية في أغلب الأحيان.

وكما أن تقارير موظفي الحكومة المنشورية تجاه المسلمين مملوءة بالحقد والكراهية " ففي السنة الثانية لجلوس الإمبراطور يونج تسنتج سنة ١٧٢٤ م بعث المفتش العام لولاية شانتونج إلى القصر الإمبراطوري قائلاً و ... يجب أن تمنع بتاتاً بحكم القانون مزاولة الأعمال المعوجة التي تشوه أذهان الناس ومنها ما تزاوله جماعة (هوي هوي)، أي المسلمون- أن هؤلاء لا يعبدون السماء والأرض ويأبون أن يقدموا النذور إلى أرواح الأسلاف الصالحين ، لقد أسسوا فرقة دينية خاصة بهم ويستخدمون تقويماً غير التقويم الصيني فكثر عدد هذه الجماعة بزيادة الأعضاء فيها وعليه التمس من مقام القصر العالي إصدار أمر إمبراطوري بشأن إخراج هؤلاء المسلمين من عقائدهم وتخريب مساجدهم من الأساس "[٤٨].

كما قدم شرطة ولاية (آنهوي) تقريراً إلى الإمبراطور يونج تسنج سنة ١٧٣٨ م قائلاً " إن المسلمين داخل البلاد يسكنون في كل مكان وحيث يشاءون

ويمارسون جميع أنواع الأعمال الحرة وأنهم يستعملون تقويماً خاصاً ويحتفلون رأس السنة الجديدة حسب تقويمهم فيقيمون فيه حفلات ويتبادلون التبركات وبناء عليه أتوسل إلى جلالتكم إصدار مرسوم خاص بغلق مساجدهم ، أما الأشخاص من أهل البلاد فإذا أظهروا عطفهم على المسلمين أو إعطائهم ملجئاً في بيوتهم فيجب محاكمتهم[٤٩].

ويذكر الدارس المسلم ماتشيان ما يأتي :

كانت للمسلمين مكانه سامية في عهدي يوان ومينغ وبسبب ذلك خافت أسرة تسينغ (المنشورية) من تأمرهم مع الصينين لإعادة أسرة مينغ الصينية الأصل فأضطهدتهم وأوقعت بينهم وبين الصينين حتى اضطروا إلى الثورة خمس مرات في غضون مائة سنة من ١٧٥٨-١٨٧٣ أسفرت عن أبادتهم في مقاطعات شانس وقانصو ويونان[٥٠] .

ويمكننا أن نتصور حجم الثورات والانتفاضات في الصين والتركستان من عدد الكتب الرسمية التي صدرت عنها مسجله بكل تفصيلات أحداثها كعادة مؤرخي الأباطرة في الصين منذ الأزمنة القديمة[٥١] :

١. ففي سنة ١٧٥٨ اندلعت ثورة المسلمين في ولاية قانصو بقيادة سوسي سان وسجل تاريخها في ٢٠ جزءا من الكتب الرسمية .

٢. وفي مقاطعة سينكيانغ شبت ثورة جنقخ واستمرت سنتين من ١٨٢٥ إلى ١٨٢٧ وصدر في تاريخ وقائعها ٨٠ جزءاً .

٣. وفي سنة ١٨٥٥ انفجرت الثورة في مقاطعة يونان بقيادة سليمان دووين شيو واستمرت ١٨ عاما وسجلت في ٥٠ جزءاً .

٤. وفي السنة ذاتها (١٨٥٥) اندلع لهيب الثورة في مقاطعة سينكيانغ وقانصو وشنشي واستمرت هذه الثورة بقيادة يعقوب بك طوال ٢٠ عاماً

وقد سجلت أحداث هذه الثورة في كتاب ٣٣٠ جزءاً .

استولت هذه الأسرة (المنشورية) زمن الإمبراطور (جيانا ونغ ١٧٣٦ – ١٧٨٤) على تركستان الشرقية من بلاد المسلمين[٥٢] وكانت تحكمها أسرة الخوجات التي أخذت بالضعف مثل سائر الأمصار الإسلامية وعملت الدولة المنشورية على استغلال ضعف المسلمين وبدأت تستولي على تركستان جزءاً جزءاً فما تركوا نقطة إلا وكانت تحت إشرافهم ومراقبتهم وتسللوا إلى الحياة الاقتصادية من صناعة وتجارة في جميع المصر خلال القرن الثاني عشر[٥٣].

فتح قتيبه بن مسلم الباهلي تركستان الشرقية ودخل مدينة كاشغر سنة ٩٦ وتبلغ مساحة تركستان الشرقية ١ , ٧١٠ , ٧٤٥ كيلو متر مربعاً أي أكثر من مساحة المملكة العربية السعودية ويعد عدد سكانها نحو ١٢ مليون نسمة منهم ٧٠ ٪ من المسلمين وكانت هذه النسبة قبل الاحتلال ٩٠ ٪ ، ويعود سكانها إلى أصول تركية منهم (الاويغور) ويمتلون ٨٠ ٪ القازاق ٩ ٪ القرغيز ٢ ٪ الأوزبك ١ ٪ المغول ٢ ٪ الهوي ١ ٪ الصينين والروس ٥ ٪ .

ومن تركستان الشرقية انتشر الإسلام في غربي الصين نتيجة المجاورة لتركستان أي القرب من المسلمين وأسلم عدد من المغول بعد اعتناق أبناء جلدتهم الإسلام في العالم الإسلامي واندفعوا إلى أرض الصين كما وصل الدعاة إلى هذه المناطق فكان لهم أثرهم في نشر الإسلام ومن هذه المقاطعات كانسو ومعظم المسلمين فيها من جماعة الاويغور أحفاد المغول ويسميهم الصينيون (هواي هواي) أما هم فيؤثرون اسم " كيا ومن " أي أهل الدين وأصبح المغول من المسلمين الذين يعملون لنشر الدين وكان الصين مقسم إلى تسعة أجزاء يحكم كلاً منها خان نيابة عن الخان الأعظم وهو ملك المغول ، وقد استطاع الصينيون طرد المغول عام ١٣٦٨ م وفي أثناء طردهم قتلوا أعداداً كبيرة منهم ومع ذلك فقد بقي الإسلام ينتشر بين سكان الصين .

وفي القرن التاسع عشر استقرت أحوال المسلمين نسبياً في الصين ولكن تركستان الشرقية كانت تغلي بالثورات والانتفاضات وكانت تعرف باسم ثورة جنقغ عام ١٨٢٥ واستمرت عامين كاملين ثم ثورة يعقوب بك ومقره مدينة كاشغر وكان المحرك العقلي لها وهو الزعيم الديني باي ين هو .

وقد بدأت هذه الثورة سنة ١٨٥٥ وكتب لها النصر وأعلنت تركستان دولة مستقلة سلطانها يعقوب بك واستمرت ثلاثة عشرة سنة وفي عام ١٨٧٤ زحف على تركستان جيشان من الصين أحدهما بقيادة ليوكين تانغ والثاني بقيادة كين شوان وقصدا مركز الزعيم الديني باي ين هو وهاجما كاشغر وانتحر سلطان البلاد يعقوب بك لما حلَّ به وبجيشه وقتل ابنه خير الله وهو في طريقه إلى كاشغر وكذلك زوجته وثلاثة من أبنائه وثلاثة من أحفاده و١٢٦٦ رجلاً أعدموا جميعاً في وقت واحد[٥٤] .

والغريب أن الدولة المنشورية استخدمت المسلمين لضرب بعضهم بعضاً وفتكت بالعديد منهم[٥٥] .

ويبدو أن الضغط الشديد الذي مارسه الأباطرة المنشورين ضد المسلمين قد جعل المسلمين يركنون إلى الهدوء ويلجؤون إلى الجانب السلمي كما رغب الأباطرة بالحل نفسه ووافقوا على إعطاء ترخيص لإمام مسجد بكين " اليأس عبد الرحمن وانغ " بإنشاء معهد إسلامي يدرس باللغة العربية وذلك سنة ١٣٢١هـ .

وفي حقبة الحكم المنشوري ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م[٥٦] ، وبقي الإسلام على الرغم من الاضطهاد أحد أديان الصين الكبرى فقد بلغ قبل الحرب العالمية الأولى نحو ٥٠ مليون نسمة[٥٧].

وكان السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) يدعو إلى الجامعة الإسلامية فأرسل أحد رجاله ويدعى أنور باشا ١٩٠٠ م لهذه الغاية ولكن المبعوث لم ينجح فيما أرسل من أجله .

غير أن إمام جامع بكين اليأس عبد الرحمن وانغ قد زار اسطنبول والتقى بالسلطان عبد الحميد فوافق السلطان وأرسل اثنين من الدعاة وهما حسن حافظ وعلى رضا ، فأسسا مدرسة في مسجد بكين وبلغ عدد طلابها مائة وعشرون طالباً غير أن السلطة الصينية قد لحقت هذين المبعوثين بحجة اتصالهما بالمسلمين وتطوافهما في مراكز المسلمين فالتجأ الرجلان إلى سفارة ألمانيا في بكين وأخبرت السفارة الألمانية استانبول بذلك غير أن السلطات الصينية لم ترع حصانة للسفارة فاقتحمت السفارة ، وفر الرجلان إلى السفارة الفرنسية فحمتهما وإعادتهما إلى استانبول[٥٨].

كما خرجت الصحافة في اسطنبول بخبر مفاده أن مسلمي الصين متحمسون للعلم ويرغبون الاستفادة من المعارف الإسلامية وأن لديهم مؤسسات تعليمية ومدارس وأن في بكين وحدها ثمانية وثلاثين مسجداً وجامعاً يؤدي المسلمون فيها الصلاة ويدعون فيها لخليفة المسلمين السلطان عبد الحميد الثاني، وأن خطبه الجمعة في مساجد وجوامع بكين تقرأ باللغة العربية ، ثم تترجم إلى اللغة الصينية ، وأن الدعاء للسلطان عبد الحميد بصفته خليفة المسلمين لا يقتصر على بكين فقط بل ويمتد إلى كل مساجد الصين وجوامعها[٥٩].

كما تأسست في بكين – عاصمة الصين – جامعة أطلق عليها المسلمون الصينيون اسم (دار العلوم الحميدية) نسبة إلى السلطان الخليفة عبد الحميد الثاني أو بتعبير السفير الفرنسي في استانبول اسم (الجامعة الحميدية في بكين)

وذلك في تقرير له إلى وزارة خارجية في باريس .

وقد حضر افتتاح هذه الجامعة ، الآلاف من المسلمين الصينين وحضره أيضاً مفتي المسلمين في بكين والكثير من علماء المسلمين هناك .

وفي مراسم الافتتاح ، القيت الخطبة باللغة العربية ، ودعا الخطيب للسلطان الخليفة عبد الحميد، وقد قام مفتي بكين بترجمة الخطبة والدعاء إلى اللغة الصينية، و(بكي أغلب المسلمين الحاضرين بكاءاً حاراً بدافع فرحتهم) وأن مسلمي الصين مترابطون فيما بينهم ترابطاً واضحاً برباط الدين المتين وإن أيراد الخطبة باللغة العربية لغة المسلمين الدينية ورفع علم الدولة العثمانية على باب هذه الجامعة قد أثر تأثيراً بالغاً في هؤلاء الناس الطيبي القلب ، وحرك الدموع في أعينهم)[٦٠] .

- المرحلة السادسة : المسلمون في عهد الصين الوطنية (الجمهورية ١٣٢٩هـ -١٣٦٧/ ١٩١١-١٩٤٩م) حتى قيام الثورة الشيوعية .

قامت الثورة الصينية بقيادة صن يات صن ورفعت شعار الوطنية والديمقراطية والمساواة وأثنى الدكتور يات صن الزعيم الجمهوري الكبير على مسلمي الصين في الثورة الصينية بقوله " أن الصينين لن ينسوا أبداً نصر إخوانهم المسلمين في سبيل تأييد نظام البلاد واستقلالها وحريتها "[٦١] .

وعدت المسلمون في هذه الجمهورية أحد العناصر الخمسة التي تتكون منها الأمة الصينية كما أعلن مؤسس جمهورية الصين الوطنية صن يات صن أن الأمة الصينية تتكون من خمسة شعوب هي : الهان والمانشو والمنغ ، والهوي (المسلمين) ، والتسانغ . وأعطى هذه الشعوب الخمسة حق المساواة وأعلنت الجمهورية الحرية الدينية في القانون الأساسي

الذي أعلن سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ وبعد ذلك نشرت الحكومة مبادءها العامة بخصوص المعايشة بين هذه القوميات وإن الصينين كلهم أبناء هذه الجمهورية بدون تفريق بين أجناس ولا أديان ولكل أن يعتقد ببوذا أو عيسى أو محمد فليس للدولة ديانة رسمية بل الديانة حرة[٦٢] .

وكان العلم الصيني مؤلفاً من خمسة ألوان الأحمر والأزرق والأصفر والأبيض والأسود ويشير اللون الأبيض إلى المسلمين .

وعبر صن يات صن عن الظلم الذي عاناه المسلمون في قوله : " من المعلوم أن (الهوي) المسلمين كما يبدو في تاريخ الصين قد قاسوا اضطهاداً أشد من الآخرين ، ولأنهم قاسوا أكبر المظالم وأوجع المصائب في القرون الأخيرة فمن الطبيعي أن تكون روح نضالهم أقوى وأشد .." ثم أضاف : " أنه من الصعب أن تبلغ الحركة الوطنية في الصين إلى أكبر درجة من النجاح في مرحلتها الأخيرة بدون مشاركة المسلمين "[٦٣].

كان لانفتاح الحكومة للمسلين أبلغ الأثر في نفوسهم فبدأ المسلمون في التعاون مع الحكم الجمهوري وكذلك الاتصال بالمسلمين في الخارج وخاصة بالأزهر وقام علماؤهم بمحاربة البدع والدعوة إلى تصحيح الإيمان وإقامة بعض المؤسسات الخاصة بهم مع وجود المسجد الذي يجمعهم ومن هذه المؤسسات :

١. جمعية تقدم مسلمي الصين التي وجدت عام ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢م في بكين وزاد عدد فروعها على ثلاثمائة فرع موزعه في أنحاء الصين كافة .
٢. جمعية الأدب الإسلامي التي تأسست عام ١٣٤٤ / ١٩٢٦ م .
٣. اتحاد المسلمين في شنغهاي عام ١٣٤٧ – ١٩٢٨ .
٤. الجمعية الاتحادية الإسلامية لكل الصين وتأسست عام ١٣٥٧–١٩٣٨ في مدينة هانكيو[٦٤]

كما أنشأ المسلمون من تبرعاتهم أربع مدارس دينية حديثة هي مدرسة المعلمين الإسلامية في بكين ومدرسة المعلمين الإسلامية في شانغهاي – ومدرسة المعلمين الإسلامية في سيجوان ، ومدرسة الأخلاق الإسلامية الثانوية في يابونانغو وأما المدارس الحديثة وخاصة الابتدائية والإلزامية فكثيرة في المدن والقرى وأنشأها المسلمون كلها بتبرعاتهم وريع أوقافهم ولا تعينها وزارة المعارف العمومية[٦٥] .

أما الصحف الإسلامية فاشهرها :

١. نضارة الهلال في (بكينغ) وهي أكثر المجلات الإسلامية مادة وأوسعها انتشاراً وأطولها عمراً .
٢. الحكمة الإسلامية في كانتون .
٣. نور الإسلام في تسن والمسلم في ولاية هونات .
٤. مجلة الشبان المسلمين في (بكينغ) .
٥. (مدينة الثغور) .
٦. (النهضة) في ناكينغ[٦٦] .

على الرغم من انقطاع المسلمين في الصين عن العالم الإسلامي إلاّ أن عقيدتهم بقيت سليمة وهم على عقيدة أهل السنة والجماعة فلم تؤثر فيها الخرافات ولا الحركات الباطنية الهدامة ولا العقائد الفاسدة ويقدر المسلمون شرح العقائد النفسية حق قدره فكل ما يخالفه فهو مردود عندهم أو مشكوك فيه في الأقل .

وأما عبادتهم فهي على مذهب الأمام أبي حنيفة نعمان ين ثابت الكوفي رحمه الله وهم حريصون على أداء فريضة الصلوات الخمسة ويهتمون

بالجماعة حتى كأن الصلاة في المنزل غير جائزة مطلقاً فتجدونهم يهرعون إلى المساجد لأدراك صلاة الفجر وبأيديهم الفوانيس على الرغم من رداءة الطقس وسوء الأحوال الجوية .

وأما المسلمات في ولاية يونان فيصلين في منازلهن في الولايات الشمالية حيث توجد مساجد بنيت للسيدات فيصلين فيها منفردات كما يتعلمن فيها الأحكام الشرعية ، والمسلمون حريصون على أداء فريضة الصيام كبارهم وصغارهم ورجالهم ونسائهم ويعتقدون أن أبواب التوبة في هذا الشهر مفتوحة لأنه شهر أنزل فيه القرآن وجاءت فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر والعبادة فيه أكثر منها في غيره قبولاً عند الله تعالى.

ويجتمع المصلون في ولاية " يونان " في رمضان قبيل المغرب في أروقه المساجد وتقدم إليهم الحلوى للإفطار ويدعو بعضهم بعضاً إلى الطعام في بيوتهم بعد صلاة المغرب وفي بعض الولايات يشترك الصائمون في الإفطار في أروقه المسجد .

وأما الزكاة فهي المصدر المهم للنفقات التي ينفق على طلبة المعاهد الدينية والمسافرين الذين تنفذ نفقاتهم .

وأما الحج فهو أعز العبادات عندهم لبعد الشقة وكثرة المتاعب وفداحة النفقات ومع هذه الموانع فالمسلم الصيني حريص على أداء هذه العبادة ويقول محمد مكين وكان في القرن الماضي في قريتنا (شاتين) رجل صالح حج البيت على قدميه في مدة ثلاث سنوات[٦٧] .

وقد ازدهرت المساجد في النصف الأول من القرن العشرين وألحقت بها المدارس وبلغ عدد المساجد في الصين في الإحصاء الذي تم سنه ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ ، ١٣٥٥ هـ / ٤٥ ألف مسجد غير أن الشيوعيين لا يعطون أرقاماً حقيقية وجزاه الله مؤلف كتاب التاريخ الإسلامي السيد محمود شاكر[٦٨] إذ

أعطى جدولاً يبين لنا عدد المسلمين في كل مقاطعة فضلاً عن عدد المساجد من دون الالتفات إلى تقديرات الشيوعيين :

المقاطعة	المساجد	عدد المسلمين
١. تركستان " سينكيانغ "	٤٥ – ٢	٢ , ٣٥٠ , ٩٥٠
٢. كانسو	٣٨٩١	٣ , ٥١٠ , ٩٣٠
٣. ينغ هيا	٦٥٥	٧٥٣ , ٤٠٠
٤. تيسنغاي	١٠٣١	١ , ١٨٦ , ٥٩٠
٥. تشيهول	٢٤١	٢٧٨ , ٩٥٠
٦. ولايات الشمال الشرقي	٦٥٥	٧٥٣ , ٤٠٠
٧. سوى يوان	٢٥٣	٣٨٤ , ٦٢٠
٨. جهاهار	١٧٥	١٧٥ , ٠٥٠
٩. هويه	٢٩٤٢	٢ , ٣٧٩ , ٢١٠
١٠. هيونان	٢٧٠٣	٣ , ٠٩٤ ,٨٠٠
١١. شني	٢٦١٦	٤ , ٢١٩ , ٠٩٠
١٢. شانسي	١٩٣٠	١ , ٥٨٩ , ٥٧٠
١٣. شانتونغ	٢٥١٣	٢ , ٨٩٠ , ٤٣٠
١٤. يونان	٣٩٧١	٤ , ٥٦٨ , ٢٩٠
١٥. كوي شو	٤٤٩	٥ , ١٩ , ٩٦٠
١٦. سنثوان	٢٢٧٥	٢ , ٦١٥ , ٣٣٠
١٧. كونغ سي	٤٢٩	٢٨ , ١٨٠
١٨. كونغ تونغ	٢٠١	٥٥٨ . ٤٥٠
١٩. هونان	٩٣٢	١ , ٣٠٢ , ٩٠٠

المقاطعة	المساجد	عدد المسلمين
٢٠. هيويه	١١٣٤	١ , ٥٨٧ , ٠٨٠
٢١. كيانغ سي	٢٠٥	٢٨٦ , ٥٩٠
٢٢. تشكيانغ	٢٣٩	٣٥٧ , ٣٠٠
٢٣. تأين هوي	١٥١	٢ , ٢٨٨ , ٥٨٠
٢٤. كيانغ سو	١٣٠٢	١ , ٩٦٣ , ١٧٠
٢٥. فوكيين	١٥٧	٤٧١ , ٥٧
	٤٢ , ٣٧١	٤٨ , ١٠٤ , ٢٤٠

أما عدد المسلمين في الصين فقدر في سنة ١٩٤٨ بأكثر من ثمانية وأربعين مليوناً عندما كان سكان الصين يقدرون بأربعمائة وستين مليوناً ، وإذا كانت الصين الآن قد زادت عن الألف مليون فإن عدد المسلمين في الصين أكثر من مائة مليون إذا افترضا أن نسبة مواليد المسلمين هي نفس النسبة العامة للمواطنين في الصين[٦٩] .

ولقد شارك المسلمون في الحياة السياسية واستعادوا دورهم القيادي فكان لهم عدد من الوزراء والعسكريين في الوزارات الوطنية ، وكان منهم أول وزير للدفاع الصيني بعد الحرب العالمية الثانية وأرتقى كثير منهم إلى رتبة لواء في الجيش الصيني .

وفي عام ١٩٢٨ م شهدت التركستان انتفاضة إسلامية كبيرة بزعامة خوجه نياز حاجي وتمكنوا من طرد الصينيين وأقاموا دولة مستقلة ولكن القوات الصينية استطاعت بمساعدة الروس بعد معركة طاحنة الاستيلاء على التركستان

الشرقية ففتحت بذلك صفحة سوداء في تاريخ هذا البلد الإسلامي العريق بدأها الروس بزج رجال الحكومة الوطنية في السجون حيث أعدموا وعلى رأسهم الحاج خوجه نياز رئيس الجمهورية ومولانا ثابت رئيس الوزراء وأعضاء وزارته كما اعدم الزعماء وحكام الأقاليم والأعيان وعلماء الدين والوفا من الأبرياء وأحرقت المدن ونهبت وأخذت نحو مائة سيارة نقل نفائس مدينة (إيلي) وتحفها التاريخية في شهرين كاملين إلى روسيا[٧٠] .

ومن الأساليب الجهنمية التي أباد الروس مائة ألف من المعتقلين :

- وضع خوذه حديدية على الرأس وأمرار التيار الكهربائي فيها لاقتلاع العيون من محاجرها .
- ربط الرأس في طرف آلة ميكانيكية وباقي الجسم في آلة أخرى ثم تدار كل من الآليتين في اتجاهات مضادة .
- كي كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد محماة إلى درجة الاحمرار .
- تمشيط جسم المسجون بأمشاط حديدية حادة .
- نتف كتل من شعر الرأس بعنف مما يسبب اقتلاع جزء من فروة الرأس .
- جعل المسجون هدفاً لرصاص الجنود يتمرنون عليه .
- إحراق المسجون بعد صب البترول عليه .

حارب الروس الدين الإسلامي حرباً لا هوادة فيها فخربوا المساجد والمعاهد الدينية وحولوها إلى دور اللهو وإسطبلات الخيول وثكنات للجنود واحرقوا الكتب الدينية والتاريخية والغو الحروف العربية وأرغموا الناس على استعمال الحروف الروسية وقسموا البلاد إلى عدة أقسام مع أن السكان جميعاً من جنس واحد ولهم لغة واحدة وعادات واحدة .

ومسخ الروس لغة أهل البلاد إلى خليط من الروسية والتركستان حتى تعذر التفاهم بين سكان الولايات المختلفة(٧١) .

ولكن المسلمين قاموا بعدة ثورات عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م وعام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م وعام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م واستمرت الأخيرة ثلاث سنوات انتهت بانسحاب الروس بعد أن أخذوا جميع المنشآت الاقتصادية التي أقاموها في تركستان أثناء وجودهم فيها وسرعان ما هاجمهم الصينيون واحتلوا أرضهم مرة أخرى بعد أن فقد المسلمون العديد منهم(٧٢) .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) دخلت اليابان الصين وعادت روسيا تدعم الصين لقتالها ضد اليابان التي احتلت شمالي الصين .

وحاولت اليابان استغلال المسلمين وعملت على تأسيس اتحاد المسلمين الصينين بغية الاستفادة منهم كما صدرت للمسلمين في " شنغهاي " آنذاك جريدة حملت اسم " نور الإسلام " ، وفي الصين نشرت مجلة إسلامية في بكين تسمى " تشنغ تو " أي الطراط المستقيم في عددها الصادر في تموز في عام ١٩٣٢ مقالاً جاء فيه " أن إمبراطور اليابان قد اصدر أمراً بمنح الحرية للمواطنين اليابانيين في اعتناق دين الإسلام إن رغبوا في ذلك كما نظمت اليابان بعثة عام ١٣٥٧ هـ مؤلفة من خمسة صينيين من أهل بكين للسفر إلى موسم الحج وأداء فريضة الحج وكذلك عملت على إصدار مجلة الإسلام وأصبح له ٣٩٤ فرعاً في مختلف أنحاء الصين.

كما أن الشيوعيين قد وعدوا المسلمين وعوداً معسولة بنهاية طرد اليابانيين ولكنهم اخلفوا بوعودهم كما فعل لينين في الاتحاد السوفياتي(٧٣) .

- المرحلة السابعة : المسلمون في عهد الشيوعيين ١٣٧٩هـ-١٣٨٦هـ / ١٩٤٩-١٩٦٦م عندما قامت الثورة الشيوعية بقيادة ماوتسي تونغ في

سنة ١٩٤٩م زحف أكثر من ٢٥٠,٠٠٠ جندي من الصينيين الشيوعيين مجهزين بأحدث الأسلحة والعتاد للاستيلاء على التركستان الشرقية ، وكان الاحتلال في هذه المرة مزدوجاً تآزر فيه الروس والصينيون الشيوعيون وأعلنوا أن التركستان الشرقية دولة تتمتع بالاستقلال الذاتي ولكنها تحت حماية الصين وفي سنة ١٩٥٣م أصبح السيد سيف الدين رئيساً للدولة وعرفت البلاد منذ تلك الحقبة باسم سينكيانج أي ؛ الأرض الجديدة بدلاً من التركستان الشرقية(٧٤) .

في بداية سنة ١٩٤٩ م انتقلت حكومة الصين الوطنية إلى تايوان وانتقل معها عدد من المسلمين ولكن الشيوعيين اظهروا في بداية الأمر شيئاً من التسامح وكان المسلمون يراقبون رجال ماو في أثناء مرورهم بالقرية في منتصف الليل وعندما لاحظوا سلوكهم الحميد وقرأوا العبارات التي كتبوها على جدران البيوت مثل : " للجميع حرية الاعتقاد الديني " و" نرفض انتهاك حرمة المساجد " وتقاليد هوي المسلمين يجب أن تحترم " و" كل القوميات متساوية " .. عندما قرا المسلمون هذه الشعارات زال الشك في نفوسهم ، وحينما اقتحم رجال الجيش الأحمر سجن القرية وأخرجوا منه المسلمين اندفع المسلمون نحوهم مرحبين ، وفتحوا لهم قلوبهم وبيوتهم(٧٥) .

وكل هذا بغية تثبيت أقدامهم ويعطوا تصوراً للزوار وللمسلمين ينسجم وما يريدون :

١. شكلوا جمعية في البر الصيني حملت اسم الجمعية الإسلامية وكان من أعضائها حاكم تركستان الشرقية (سينكيانج) برهان الدين شهيدي وسيف الدين وقامت بتوجيهه من الشيوعيين تشكيل عدة جمعيات بغية تأييد المسلمين للشيوعيين .

٢. الفت كتب مضلله عن الإسلام تأييداً للشيوعية .

٣. طبعت القرآن الكريم وبهامشه التفسير حسبما يرى رجال الحزب .

٤. بدأت ترسل البعثات إلى الحج للدعاية للشيوعية في الصين وكان أول بعثه إلى الحج عام ١٣٧٥ هـ .

أسست معهد بكين الإسلامي في ذلك العام والذي كان يصدر عنه مجلة المسلمون في الصين .

وبغية تضليل المسلمين في العالم الإسلامي كانت تصور أفلاماً عن حياة المسلمين وترسلها إلى أمصار العالم الإسلامي للدعاية الشيوعية .

وبعد أن تثبتت جذور الشيوعية في الصين قامت جملة من الإجراءات التعسفية ضد المسلمين وذهبت ضحيته الوفاً من المسلمين ومن تلك الإجراءات:

١. مصادرة الأوقاف الإسلامية .

٢. إباحة وتشجيع الزواج المختلط بين المسلمين والشيوعيين لتوليد جيل جديد ينسى عاداته وتقاليده الإسلامية العربية .

٣. عليهم استعمال لحم الخنزير في مأكولاتهم وأطعمتهم بحجة تقاربهم مع بقية السكان .

٤. عدم استعمال القماش الأبيض (الكفن) في لف موتاهم لغرض الدفن بحجة ضياع أقمشة يمكن استخدامها للكساء .

٥. تشجيع الشبان الشيوعيون في المعسكرات وحثهم على العيش مع البنات والسيدات المسلمات وعند مقاومة المسلمين في كاشغر لهذه الأعمال الإجرامية استشهد ما يقرب من أربعة آلاف شاب مسلم في سبيل العرض والكرامة في مطلع عام ١٣٧٧ هـ .

٦. ألغي معهد بكين الإسلامي ، وتوقف صدور مجلة (المسلمون) .

٧. منعت البعثات إلى الحج ورفض الشيوعيون إرسال بعثات إلى الأزهر وكانت آخر بعثة ذهبت عام ١٣٥٦ هـ .

٨. والشيء المحزن أن أركان الإسلام الخمسة قد أدخلت هي الأخرى في قائمة التحريم وعقاب القائمين عليها بلا رحمة[٧٦].

وزاد الأمر سوءاً عندما قام ماوتسي تونغ يحارب المسلمين باسم الثورة الثقافية ، قضى على المدارس والمساجد وما بقي من مؤسسات وأبيد الكثير من الفئات المعارضة الأمر الذي أجبر المسلمين على القيام بحركة واسعة في بكين في شارع نيوكياي للتنديد بمواقف الدولة منهم وهاجموا مركز الشرطة فاعتقل القادة وأبيد أكثر من اشترك في هذه الحركة ولا يعلم مصير محمد مكين وعبد الرحيم ماسونغ تينغ- واتخذ الصينيون هذه الحركة ذريعة-فزادوا من اضطهادهم للمسلمين[٧٧] .

نشرت صحيفة " تمد بات باد " هونج كونج في عددها الصادر في أكتوبر سنة ١٩٦٦ وهو منشور موجه إلى الحرس الأحمر جاء فيه : " يا رجال الحرس الأحمر " لا يمكن أن ندع عدواً من أعدائنا يهرب وعلينا من الآن فصاعداً أن نهاجم أكثر الأعداء تخفياً - المسلمين الذين يقومون بنشاط ضد الحرب وضد الصينين تحت قناع الدين المزعوم .

من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الديني على وجوهكم سنطردكم وندمركم .

ومن الآن فصاعداً لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار لأن الأبقار تخدم الشعب يجب أن تأكلوا لحم الخنزير .

ولا يمكنكم من الآن فصاعداً أن تضيعوا وقتكم في الصلاة ، يجب ألا تتكلموا اللغة العربية التي هي ضد اللغة الصينية ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما

يسمى بالكتاب المقدس (القرآن) اسمعوا أيها المسلمون :

- دمروا جوامعكم – حلوا المنظمات الإسلامية احرقوا القرآن .
- ألغوا الحظر الذي وصفتموه على الزواج المشترك .
- كفوا عن الصلاة .
- ألغوا الختان .
- ادرسوا أفكار ماو .
- إذا لم تندمجوا سنطردكم وندمركم يجب أن نستحق جحور الجرذان الدينية وندمرها معكم .

- فليحيا الثورة الثقافية :

فليحيا طويلاً الرئيس ماو[٧٨] .

ومات ماوتسي تونغ رمز الشيوعية الصينية عام ١٣٩٦ هـ وأعيد فتح معهد بكين الإسلامي ليدرس العلوم في وجهة النظر الشيوعي وأعيد معه إصدار مجلة (المسلمون في الصين)وعادت البعثات إلى الحج بدءاً من عام ١٣٩٩ وأعيد فتح ألف وتسعمائة مسجد في تركستان لاستقبال الزوار والدعاية للشيوعية.

نشرت مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٢٨٠ في ١٩٩٧/١٢/١٦ مقالاً مترجماً عن مجلة Lepoint الفرنسية تحت عنوان الصين سينكيانج الإقليم التأثر بعد أن ذكر المقال المراحل الهامة في تصاعد الحركة الاستقلالية التي بدأت في :

- ٢٥ – ٣٠ إبريل ١٩٩٦ تم اعتقال ١٧٠٠ شخص في سينكيانج ثم أدينوا بالقيام بنشاطات انفصالية .

- مايو ١٩٩٦ عمليات اقتتال في الشوارع الحصيلة وفاة ٢٠ شخصاً في تورفان وكارامي واعتقال ٥٠٠ آخرين .
- منتصف يوليو ١٩٩٦ اعتقال ١٨ ألف شخص من سكان أويغور ومقتل ٤٥٠ جندياً .
- منتصف نوفمبر سنة ١٩٩٦ أكدت " الجبهة الثورية الوطنية الموحدة لتركستان الشرقية وهي جبهة متواجدة في المنفى في كازاخستان بأنه ثم فصل ٤٨٠٠ موظف من سكان أويغور من وظائفهم بحجة مشاركتهم في الانتفاضة .
- منتصف ديسمبر ١٩٩٦ أكدت الجبهة أن ١٣٠ معتقلاً من الايغوريين لقوا حتفهم داخل السجن بعد أن قاموا بمحاولة للهروب من السجن .
- ١١ – فبراير ١٩٩٧ وقعت مواجهة في بينغ وفاة ١٠٠ شخص وإصابات عديدة .

يؤكد هذا المقال على أن النظام الصين يعتمد على التعليم كوسيلة لدمج التركستان في المجتمع الصيني ولكن هل يتوقف في ذلك ؟ وهذا يتوقف على إحساس العالم الإسلامي بحجم مأساة إخوانهم المسلمين (في تركستان الشرقية) أو سينكيانج الواقع في غرب جمهورية الصين الشعبية مع أن هذا الإقليم المسلم يزخر بالخيرات الطبيعية وأهمها النفط والغاز والذهب فإن سكانه يرزحون تحت وطأة المعيشة الضنكه وفي دجى الجهل ومرارة الإهمال من السلطات في بكين .

إن هذا الإقليم الشاسع الذي يمثل سدس مساحة الصين قامت الإمبراطورية الصينية بضمه إلى الصين قبل قرن في عام ١٨٨٤ على وجه التحديد وهو مرتبط بالسلطة المركزية في بكين سواء إبان العهد الإمبراطوري أو في أثناء الحقبة الشيوعية ، ويبعد هذا الإقليم عن بكين ٣٠٠٠ كيلو متراً يوجد

بينهما فارق كبير في التوقيت ولكن يتم ضبط التوقيت في اورومشي (عاصمة سينكيانج) بالتوقيت المحلي في بكين ولا يهم إذا كان الليل ممتداً في فصل الشتاء إلى الساعة العاشرة صباحاً حيث أن المركزية تتحكم في كل شئ بالطريق نفسها يتم تعين أفراد قبيلة الهان في معظم المناصب الإدارية القيادية وعلى رأس الشركات من قبل السلطات المركزية في بكين . أما بقية الأقليات العرقية التي تشكل ثلثي سكان الإقليم ممثلة بالاويغور وهم مسلمون من أصل تركي والكزاخ (وهم أكثر عدداً) فلا يكون نصيبهم إلا الوظائف الهامشية التي لا علاقة لها بالدورة الاقتصادية .

وتتجلى مأساة سكان إقليم سينكيانج من المسلمين في حرمانهم من التعليم إذ أن فرص التعليم متوافرة فقط لابناء قبيلة (الهان) الذي يسمح بدخول المدارس والجامعات الصينية .

وتعمل السلطات الصينية أيضاً على طمس الهوية الإسلامية والثقافات التقليدية لسكان الإقليم بل لا يكاد يعثر المرء على أي كتاب مكتوب باللغة الكزاخيه أو الاويغور على رفوف المكتبات المحلية باشتناء بعض الروايات عن الحب أو القواميس أو الكتب الموسيقية أو بعض المصاحف المحرفة .

ويتسم مسلمو سينكيانج بالتسامح الديني ويشكل السنة ٩٠٪ منهم في حين بدأ المذهب الشيعي في الانتشار في أوساط المناطق القريبة إلى الحدود من باكستان وأفغانستان ولاسيما في أوساط الطاجيك وفي مدينة كاشغر .

ويشهد الإقليم صحوة إسلامية كبيرة منذ ربيع ١٩٩٦ حيث بدأ الشباب والفتيات إلى العودة إلى اللباس الإسلامي والتمسك بأصول العقيدة الإسلامية وقد واكب الصحوة الإسلامية تنامي الشعور بالإحباط لدى السكان المسلمين الذين ذاقوا مرارة الاضطهاد والحرمان طول العقود الماضية لكنهم ينعمون اليوم بحرية العبادة ولو تحت المراقبة – ويحث خطباء المساجد في اورومشي على توطيد

الاستقرار وتعزيز روح التفاهم بين سلطات الإقليم كما يوجد في اورومشي تيار إسلامي بدأ في البروز وقد اعترف حاكم الإقليم عبد الأحد عبد الرازق للمرة الأولى في شهر مايو بقيام حزب إسلامي في سينكيانج في عام ١٩٩٦ .

وإلى الجانب التيار الإسلامي يشهد هذا الإقليم نزعه قومية قوية ويرجع ذلك إلى سبب أساسي ألا وهو : أنه بعد أن نالت أربع جمهوريات إسلامية كانت تابعة للاتحاد السوفيتي سابقاً استقلالها في ١٩٩٠ (وهي كازاخستان وفيرقيزستان واوزبكستان وطاجيكتسان) .

وقد ساهمت كل هذه التطورات في أخبار وذكريات جمهورية تركستان الشرقية المستقلة التي لم تعمر طويلاً والتي رأت النور في ١٩٤٢ بزعامة شخصية كازاخيه لكنها اندثرت من الوجود بعد مرور أربع سنوات فقط على ولادتها حيث زحف أكثر من ٢٥٠ , ٠٠٠ جندي من الصين الشيوعية مجهزين بأحدث الاسلحه والعتاد .

وتنتاب السلطات الصينية مخاوف من انتقال العدوى الشيشانية إلى داخل الحدود الصينية ولذلك أخذت على محمل الجد الإنذارات التي انطلقت في سنكيانخ في مطلع فصل الشتاء ١٩٩٦ والتي ظهر إرهاصات في مطلع ١٩٩٧ وقد قامت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بإصدار تعميم إلى وحدات العمل كافة في سينكيانج حيث أمر القياديين كافة من قبيلة الهان بالعمل على توحيد الاستقرار الإجتماعي ومكافحة كافة الدعوات الانفصالية .

رصدت منظمة العفو الدولية الانتهاكات الجسيمة التي ترتكب ضد حقوق الإنسان في إقليم سينكيانج الاويغور المتمتع بالحكم الذاتي الذي يمثل الأغلبية بين السكان المسلمين الذين يعتنق معظمهم الإسلام .

وقد احتجز الآلاف في الإقليم بصورة تعسفية خلال السنوات القليلة الماضية ، ومازالت عملية الاحتجاز التعسفية مستمرة وقد ورد أن آلاف السجناء

السياسيين الذين ألقى القبض عليهم في تواريخ مختلفة في أثناء التسعينيات مازالوا في السجون ، وأن أحكاماً بالسجن قيد الاحتجاز من دون تهمة أو محاكمه بعد أن أمضوا شهوراً وسنوات في السجن . كما ورد أن الكثير من المحتزين قد تعرضوا للتعذيب باستخدام وسائل بالغة القسوة ، ومنها ما ليس له مثيل في أي مكان آخر في جمهورية الصين الشعبية على حد علم منظمة العفو الدولية ، ويخضع السجناء السياسيون المحتجزون في السجون أو معسكرات العمل في أحيان كثيرة للتعذيب أو غيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية المهينة حسبما ورد كما ورد أن بعضهم قد توفي نتيجة لسوء المعاملة أو الإهمال في أثناء احتجازهم .

وقد حكم على عشرات الايغور ، معظمهم من السجناء السياسيين بالإعدام ونفذت فيهم الأحكام خلال السنتين الماضيتين ، وهناك آخرون غيرهم من ضمنهم نساء قيل أنهم قتلوا على يد قوات الأمن في ملابسات قد ترقى إلى مستوى الإعدام خارج نطاق القضاء .

ظهرت صحوة دينية في إقليم شين يانغ الايغور المتمتع بالحكم الذاتي شأن بقية جمهورية الصين الشعبية نتيجة لسياسة (الانفتاح) التي بدأت في أواخر السبعينات وما تابعها من إصلاحات اقتصادية إذ سمحت السلطات بإعادة فتح المساجد واستخدام الأموال التي تساهم بها بعض البلدان الإسلامية في بناء مساجد جديدة وإنشاء مدارس لتعليم الدين واستيراد مستلزمات إقامة الشعائر الدينية كما سمح مرة أخرى لعدد كبير من المسلمين بالسفر إلى البلاد الإسلامية وشجعتهم السلطات على الاتصال بغيرهم من المسلمين في خارج البلاد بيد أن هذا الاتجاه المتحرر قد توقف في أواخر الثمانينات ، فعادت الحكومة إلى سياسيتها التقييلية خشية أن يصبح الإسلام راية تلتف حولها التطلعات القومية العرقية وأن تصبح الحركات الإسلامية الأجنبية مصدراً يلهم شباب الأيغور الذين

يدرسون في معاهد الإسلامية في الخارج .

وكان مما ساهم في تعزيز تلك المخاوف حادث وقع في بارين بالقرب من كاشغر في إبريل / نيسان / ١٩٩٠ عندما تسببت الاحتجاجات وأعمال الشغب التي قادتها جماعة إسلامية قومية في عدة وفيات وأغلقت عدة مدارس دينية منذ ذلك الوقت كما توقف استخدام الخط العربي في الكتابة ، وفرضت قيود شديدة على رجال الدين المسلمين وطرد وألقى القبض على الفقهاء المسلمين الذين اعتبرتهم الحكومة من (المشاغبين) أو ممن لا يبدون امتثالاً كافياً لأوامرها وحظر على المسلمين الذين يعملون في الدوائر الحكومية والمؤسسات الحكومية الأخرى إقامة شعائر دينهم كما أنهم يفقدون وظائفهم إذا لم يمتثلوا للأوامر .

وقد كثفت الحكومة منذ سنة ١٩٩٦ الحملة التي شنتها على الانفصاليين القوميين والمتطرفين الدينين و" الأنشطة الدينية الممنوعة " حسب زعمهم ، كما بدأت في نفس الوقت حملة تثقيف مكثفة لنشر الإلحاد لتطهير لجان الحزب الشيوعي الجماهيرية والمؤسسات الأخرى من المسلمين المتمسكين بدينهم .

وتقول صحيفة سينكيانج وايلي الرسمية في تعليق لها بشان حملة من هذا النوع جرت في ولاية تيربان في سنة ١٩٩٧ ينبغي منح أعضاء الحزب المتمسكين بعقائدهم الدينية، والذين يرفضون تغيير سلوكهم بعد توعيتهم ، فسحة من الوقت لتصحيح مواقفهم أو امتناعهم بطلب سحب عضويتهم في الحزب أو طردهم منه حسب خطورة أفعالهم ، وقد تم البت في شأن ٩٨ من أعضاء الحزب المتدينين في ولاية تيربان. وتستطرد الصحيفة قائلةً : " لقد أحكمت تنظيمات الحزب والهيئات الحكومية بكافة مستوياتها قبضتها على الشؤون الدينية ، كما حسنت من سيطرتها على الدين على مستوى الدوائر والمدن الصغيرة والقرى (شينج يانغ دايلي ٩ / إبريل / ١٩٩٧) .

وفي يونيو / حزيران / ١٩٩٧ أوردت نفس الصحيفة نبأ الإجراءات الصارمة التي اتبعت بشأن الأنشطة الدينية ، غير المشروعة في ولاية أيلبى بعد القلاقل العرقية التي جرت في فبراير / شباط / ١٩٩٧ فتقول لقد تم تطهير قرى أيلبى الكبيرة والصغيرة من الأنشطة الدينية غير المشروعة قرية تلو الأخرى ، كما جاء في الصحيفة خبر إلقاء القبض على ٤٠ من المشاركين الرئيسين في الأنشطة الدينية غير المشروعة وفصل ٣٥ من رؤوساء الحزب الشيوعي في القرى والمدن الصغيرة و١٩ شخصاً من العمد وأصحاب المصانع كما أوقفت عمليات تجديد وبناء ١٣٣ مسجداً غير مرخص بها في المنطقة[٧٩] .

وفي إبريل / نيسان / ١٩٩٧ نشرت اورومكي " يغينغ نيوز " نبأ قيام الشرطة بتفتيش ٥٦ مسجداً في ايفاركي بمنطقة أكسو : فتشت الشرطة مؤخراً تلك المساجد وأحكمت قبضتها على أنشطة الأئمة والمؤذنين وأوقفت الأنشطة غير العادية .

وتفيد مصادر غير رسمية أن عدداً كبيراً من مدارس تحفيظ القرآن والجماعات السرية قد تأسست في التسعين بعد ما اتجهت السلطات إلى إغلاق المدارس الدينية التي كانت قد شجعت في السابق افتتاحها ثم افتتح بعض الزعماء الدينين فصولاً دينية لتحفيظ القرآن في البيوت وقد أنشئ الكثير من هذه الفصول في الجنوب حيث مازالت التقاليد الإسلامية قوية واكتشفت الشرطة هذه الفصول بصورة دورية ثم أغلقتها كما جاء على لسان مصادر غير رسمية أن الشرطة عمدت أحياناً إلى احتجاز بعض الفقهاء والطلبة مدة شهرين أو ثلاثة وكان يطلق سراحهم في العادة بعد أن يدفعوا غرامة مالية ، وبعضهم تعرض إلى أكثر من مرة، ومازال بعضهم الآخر محتجزاً ومنهم زعماء وأعضاء في الجماعات الدينية .

وفي السنوات الأخيرة أرسل بعضهم إلى معسكرات " إعادة التثقيف عن طريق العمل " أو صدرت عليهم أحكاماً بالحبس .

الصين وتحديد النسل في التركستان الشرقية سينكيانج :

ولدّ تنفيذ السياسية الوطنية لتحديد النسل منذ أواخر الثمانينات في إقليم سينكيانج مشاعر سخط قوية بين الاويغور وغيرهم من الجماعات العرقية ، وتشير المصادر الرسمية وغير الرسمية على حد سواء إلى أن تنفيذ السياسة السالفة الذكر قد أدى إلى اندلاع أعمال عنف مثل الاعتداء على مكاتب تنظيم الأسرة وموظفيها .

وتسمح سياسة تحديد النسل الرسمية للزوجين المنتمين لأقلية عرقية بإنجاب ثلاثة أطفال في القرى وطفلين في المدن ولكن السلطات مارست ضغطاً متزايداً على المتزوجين في الإقليم بشأن تخفيض عدد الأطفال من اثنين إلى طفل واحد وفق ما ذكرت المصادر غير الرسمية .

وينبغي تنظيم الحمل في إطار حصة المواليد المخصصة لمنطقة بعينها خلال مدة معينة ، كما هو الحال بالنسبة لباقي البلاد ، وقد يرفض التصريح للزوجين بالحمل لعدد من السنوات ، أي حتى تبيحه الخطة التي تنفذ أساساً من خلال اتباع نظام الإثابة والعقاب . وورد أن النساء اللاتي ينجبن خارج نطاقها لعقوبات تعرض مصادر رزق أسرهن للخطر كما ورد أن التعقيم الإجباري من الأمور المألوفة(٨٠).

في العدد ٧٩٠٩ في ١٣ / ١ / ٢٠٠١ نشرت جريدة الخليج الإماراتية / تصريح رئيس وزراء الصين زهورونتجي في سبتمبر / أيلول من العام الماضي أنه سيسحق الانفصاليين المسلمين في إقليم سينكيانج بـ (قبضه من حديد) ، في

الوقت نفسه جرى حكم الإعدام لمجموعة من الناشطين الإسلاميين بتهمة النزعة الانفصالية وحيازة أسلحة ومتفجرات غير مشروعة .

أيها الأخوة : بعد أن أطلعنا في هذا البحث الموجز على مجريات الأحداث في الصين وعلى أحوال إخواننا المسلمين ومعاناتهم من قسوة الأنظمة الجائرة وما يلحق بهم من إجراءات تعسفية ظالمة اقترح ما يأتي :

١. إرسال عدد من الوفود إلى جميع الأقطار التي تتواجد فيها الأقليات الإسلامية وضرورة تقديم تقارير عنهم وذلك لدراسة مشاكلهم والتعرف عليهم بغية مساعدتهم إن أمكن .

٢. اقترح تخصيص عدد من المقاعد الدراسية في الجامعات العربية والإسلامية في كليات الشريعة لأبناء شعوب هذه الأقليات وذلك حماية للهوية الإسلامية لهذه الشعوب المضطهدة .

٣. وكذلك دعوة لمؤتمر يدعى فيه مندوبو هذه الأقليات لإلقاء محاضرات عن واقعهم السياسي والاجتماعي والديني .

٤. حماية المساجد من كل اعتداء يقع عليها أو على ممتلكاتها والحفاظ على الأوقاف الإسلامية واسترجاع ما عطل أو صودر منها .

٥. الدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية في مختلف أجزاء العالم في المنابر الدولية .

هذا والحمد الله أولاً وأخراً والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين.

الهوامش :

(١) تعليقات شكيب ارسلان على كتاب حاضر العالم الإسلامي تأليف لوثروب ستوارد المجلد الأول حـ ٢ / ٢١٩ .

(٢) فهمي هويدي : الإسلام في الصين : ١٦ عالم المعرفة الكويت ١٩٨١ .

(٣) عمان وتاريخها البحري صادر من الحكومة العمانية : ٣٣ .

(٤) محمود شاكر – تركستان الشرقية : ٥١ مؤسسة الرسالة .

(٥) توماس أرنولد– الدعوة إلى الإسلام ٣٣٢ ترجمه حسن إبراهيم حسن ود. عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي .

(٦) محمد مكين – نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها : ١١ المطبعة السلفية / القاهرة .

(٧) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام : ٣٣٢ .

(٨) هادي العلوي: المستطرف الصيني من تراث الصين ٢٩٩ ط ١٩٩٤ دار المدى للثقافة والنشر / دمشق .

(٩) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ٣٣٣ .

(١٠) محمود شاكر : تركستان الشرقية ١٦ مؤسسة الرسالة .

(١١) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ٣٤٣ كتب أحد رسل الجزويت من بكين سنة ١٧٢١ يقول أن طائفة المسلمين تتسع شينا فشينا .

(١٢) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص٣٤٧/ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٨/ ٦١٨، إخواننا في الصين مجلة المسلمون العدد السابع ٩٩ السنة الأولى ٧٢٣.

(١٣) انتشار الإسلام في آسيا محمد نصر مهنا ٤٢٨/٢ ، ط٢ ، ١٩٩٨، المكتب الجامعي الحديث ، محمود شاكر التاريخ المعاصر ٢٢ / ١٤٣ – توماس

أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ٢٣٥ حاضر العالم الإسلامي ، حـ ٢ ، ٢٣٢-٣٣٣ .

(١٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٣٦/٤ ، الطبري ٥ / ٢٧٠ توماس أرنولد الدعوة إلى الإسلام ٣٣٢ – هادي العلوي المستطرف الصيني : ٢٩٤ .

(١٥) عباس محمود العقاد صن يات صن (أبو الصين) ٤٢ المكتبة العصرية بيروت .

(١٦) فهمي هويدي الإسلام في الصين ٣٤٤ .

(١٧) المصدر نفسه : ٣٤٤ .

(١٨) توماس أرنولد : ٣٤٤ .

المصادر والمراجع :

١- بدر الدين حي – تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر ، دار الإنشاء للطباعة والنشر / طرابلس / لبنان ١٣٩٤ هـ .

٢- ابن بطوطة – أبو محمد عبد الله إبراهيم اللواتي – تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار مؤسسة الرسالة ط٤ بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م .

٣- لوثروب ستوارد الأمريكي ترجمة إلى العربية عجاج تويهض – وعلق عليه الأمير شكيب ارسلان دار الفكر ط ٣ ١٣٩١ / ١٩٧١ م .

٤- محمد مكين : نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها – المطبعة السلفية ١٣٥٣ هـ / القاهرة .

٥- فهمي هويدي – الإسلام في الصين عالم المعرفة الكويت ١٩٨١ م .

٦- توماس أرنولد – الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم حسن ، ود. عبد المجيد عابدين – وإسماعيل النحراوي مكتبة النهضة العربية ط ٣ / ١٩٧٠ م .

٧- هادي العلوي – المستشرف الصيني من تراث الصين دار المدى للثقافة والنشر ١٩٩٤ دمشق .

٨- عباس محمود العقاد – صن يات صن " ابو الصين " المكتبة العصرية – بيروت صيدا .

٩- محمود شاكر : تركستان الشرقية مؤسسة الرسالة .

١٠- محمود شاكر : التاريخ المعاصر والإقليات الإسلامية الناشر المكتب الإسلامي .

١١- محمود شاكر و د. إسماعيل احمد الياغي - العالم الإسلامي الحديث والمعاصر مكتبة العبيكان ١٩٨٠ .

١٢- محمد نصر مهنا - انتشار الإسلام في آسيا ، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية ط ٢ ١٩٩٨ المكتب الجامعي الحديث الازاريطة - الإسكندرية .

١٣- على جريشة ومحمد الزبيق : أساليب الغزو الفكري دار الاعتصام ط - ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

١٤- جميل عبد الله المصري حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة مكتبة العبيكان الرياض ط ٤ ١٩٩٩م .

١٥- الدكتور أحمد شلبي - موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (٨) الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٦ .

١٦- الطبري تاريخ الأمم والملوك - تحقيق أبو الفضل إبراهيم دار المعارف القاهرة ط٢/ ١٩٧١ م .

١٧- عمان وتاريخها البحري صادر من الحكومة العمانية .

١٨- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط على محمد الصلابي دار البيارق ط أولى سنة ١٩٩٩م بيروت .

- المجلات :

- مجلة الوعي الإسلامي - الكويت عدد أكتوبر سنة ١٩٦٦ م .

- مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٢٠/١٦ شعبان /١٤١٨ في ١٦/ ١٢/ ١٩٩٧ م .

- مجلة المسلمون العدد التاسع ٩٧ السنة الأولى ٩٢٩ .

- الجرائد :

- صحيفة (تمد بات باد) الصادر في هونج كونج ١١ / أكتوبر/ ١٩٦٦ م .

- سينكيانغ – تركستان الشرقية ٩ / إبريل / ١٩٩٧ م .

- اورومكي الغنينغ نيوز إبريل / ١٩٧٧ م .

- جريدة الخليج الإماراتية العدد ٧٩٠٩ / ١٣ يناير / ٢٠٠١ م .

- تقارير :

- الأمم المتحدة جلسة اللجنة الخاصة بالقضاء على جميع أشكال التميز العنصري – التاسعة والأربعون الملاحظات الختامية للجنة بشأن القضاء على التميز العنصري جمهورية الصين الشعبية وثيقة رقم ٢٧ ، ١٥ ADD / ٣٠٤ / ٢ CRED ٢٧ سبتمبر.

- تقرير منظمة العفو الدولية جمهورية الصين الشعبية – العنف السري : انتهاكات حقوق الإنسان في شينغ يانغ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٩٢ وثيقة رقم ٩٢/٥/١٧ ASA ص١٠.

- تقرير منظمة العفو الدولية مناشدة من أجل المحتجزين تعسفاً من الويغار " وثيقة رقم ١٦ / ٢ / ٩٩ ASA يناير ١٩٩٩ م .